٢٧٠/١٢

عدد خاص

بالفقيد المجاهد الشيخ محمد الحامد

# حضارة الإسلام

مجلة فكرية جامعة

جمادى الأولى ١٣٨٩ - تموز وآب ١٩٦٩

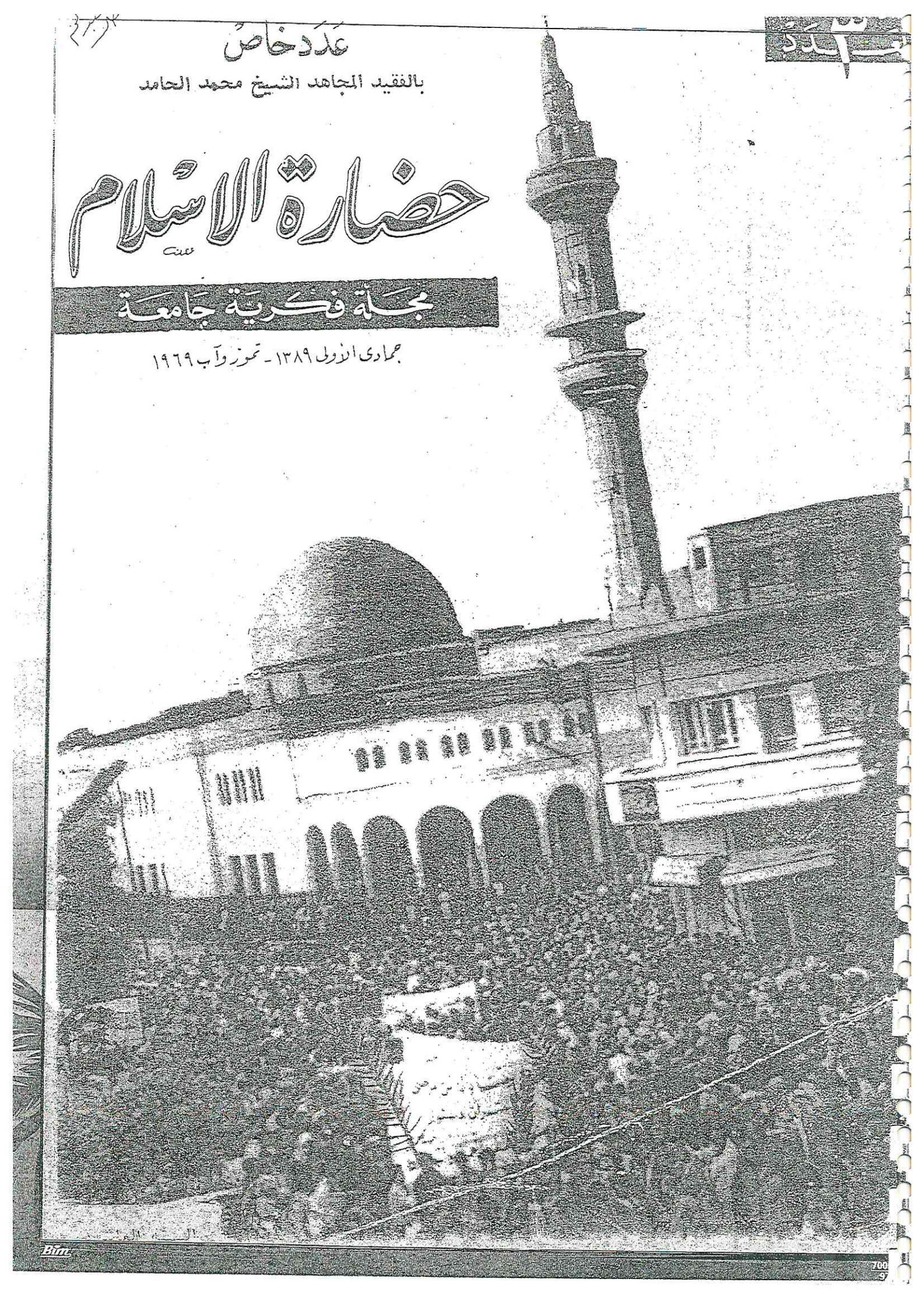

Bim

## في هذا العدد


| | | |
|---|---|---|
| حين تعرف الأمة رجالها | بقلم رئيس التحرير | ٥ |
| أخي كما عرفته | للأستاذ عبد الغني الحامد | ١٠ |
| الخطوط الرئيسية للمنهج العلمي عند شيخنا الحامد رحمه الله | للأستاذ عبد الحميد طهماز | ١٥ |
| أشجان في رحلة الوداع الأخير ( شعر ) | بقلم : عبد القادر حداد | ٣٢ |
| العالم العامل | للدكتور حسن هويدي | ٤٣ |
| ضيف الحضارة | اعداد قلم التحرير | ٤٧ |
| حماه ... وعالمها الراحل | للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي | ٥٨ |
| خواطر شعرية | بقلم مصطفى الحدري | ٦٦ |
| سيد العصر ( شعر ) | للدكتور مأمون شقفه | ٦٧ |
| محمد الحامد .. العالم الفذ | للأستاذ محمدابراهيم بخات | ٦٩ |
| لن ننقلب بعدك على الاعقاب | للأستاذ عبد الله الصباغ | ٧٢ |
| العلماء العاملون وأثرهم في الأمة | للأستاذ محمد حسن بريغش | ٧٦ |
| قطوف من شعر الشيخ الحامد | اعداد عبد المعز الحامد | ٨٠ |
| الجانب الأدبي في شخصية العلامة الراحل محمد الحامد | بقلم عبد القادر حداد | ٩٦ |
| تعليقات حول كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث الثانوي | بقلم الفقيد رحمه الله | ١١٤ |
| من الصحف والمجلات | اعداد قلم التحرير | ١١٩ |

الشائكة الطويلة ، وفي ميادين العمل على تحقيق رسالتها في العالمين .

وليس شيء أضرّ على هـذه الأمـة في دينها ودنياهـا ، من أن يلبّس عليها أعداؤها ، أو العاقّون من ذويها ، فتعجـز عن تصوّر القيم التي على أساسها تبنى منزلة الرجال ، وفي ضوئها يحسب حسابهم من الطاعة والاتباع .

وفي بيان مشرق لأبعاد هذه الساحة التي نشير إليها بهـذه الكلمات ، أوحى الله إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام قوله جلّ وعزّ (( وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً )) فكان تعليمه ما لم يعلم هو الفضل الذي لا يغفل عن عظيم قدره إلا غافل ، ولا يحـدّ سعة مدلولـه إلا جـاهل مسكين . أعلنها القرآن واضحة بعيدة عن التشبيه والتلبيس ، لتكون في مرتبة التكامل مع مظهر من مظاهر الرسالة (( هو الذي بعث في الأميين رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )) .

لقد وقفت وما بي من حاجة إلى تلمّس الحقيقة التي تكمن وراء هـذا الهدير الذي يقرع القلوب في حيـاة فقيدنا الكبير الشيخ محمـد الحامـد رحمه الله .

فالرجل الذي يهب نفسه للعلم والمعرفة ، ثم يجعل من سلوكه وعمله وجهاده بلسانه وقلمه صورة حيّة صادقة لما يعتقد ، هو رجل جدير بكل هذا الهدير الإيماني المعبّر ، حريٌّ بأن يكون مثلاً يحتذى ، وأسوة تتبع ، ولا نتألى على الله فالعصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وليس من مكرور القول أن نذكر بأن أمتنا قد أعطت للفرد قيمة كبرى في ميدان النقل العلمي خصوصاً لما يكون من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا ومن أجل هذا الغرض كيما ينقل الحديث بالسند الصحيح كان علم الرجال ووجد علم الجرح والتعديل الذي يقوم على الوضوح والأمانة دون محاباة أو مصانعة في الحق .

والشيخ الحامد أجزل الله مثوبته واحد من أولئك العلماء العاملين الذين وضعهم التاريخ على قمة المرتقى في تاريخ الأمة الحديث ، فقد أكرمه الله بأن كان موضع الثقة في النقل ، وموضع الحجـة في العمل ، وموضع القـدوة للعلماء زهداً في الدنيا ، وصدعاً بكلمة الحق ، والتحلي بما من شأنه أن يحفظ على العالم ـ والعلماءُ ورثة الأنبياء ـ كرامته التي هي من كرامة الأمة .

ولن يعوزك البحث لتجد في كل واحد من تصرفاته ما ينبغي أن يكون عليه العالم رغبةً ورهباً ، من تحقير لشأن كل منصب يمكن أن يعوقه عن أداء

رسالته في الحياة ، ولو كان هذا المنصب قد ألبس لَبوس الدين ، في وقت تشابهت فيه الأمور ، وساد في أرجائه الكثير من تمويه إبليس .

ولم يكن هيناً من الأمر أن يحمل الرجل نفسه في شؤون الدنيا على المركب الخشن ، فقد كان هذا دليل علو الهمة والانتصار على النفس الأمارة بالسوء ، لأن الزهادة في الدنيا أمر ـ بمفرده ـ سلاح يقاتل ، ونور يضيىء سبيل العالم إلى قوة التأثير والقدرة على فتح مغاليق القلوب .

والشيخ محمد الحامد ـ على تعدد جوانب شخصيته التي ترى فيها الجِدّ الجادّ ، والتحقيق العلمي ، والغضب لله عز وجل ، مع النكتة البارعة ، وموهبة الشعر التي لو تسنى لها أن تأخذ طريقها الطبيعي لرأينا العجب العجاب .

استطاع في هذه الفترة التي عاشها أن يكون فيصلاً بين العالم يتخذ العلم صناعة تكسب الجاه والمال ومرضاة السلطان ، وبين العالم ، يجعل من علمه زلفى إلى مرضاة الله وطريقاً إلى الجنة .

والرائع الرائع وراء ذلك كله ، ما كان من الوعي الكبير لطبيعة العمل الإسلامي في العصر الحديث ، ذلك الوعي الذي اتسمت به تحركاته ـ رحمه الله ـ منذ كان طالباً في الأزهر سنيّ شبابه الأولى .

فلقد شهد بقلبه وعقله المرحلة التي تمر بها الدعوة الإسلامية ، وكان على إدراك تام لما يجب أن تكون عليه الطريق التي ينبغي أن تسلك لتحمل أعباء الدعوة ، في ظروف تستدعي الكثير من الإخلاص والمعرفة ، والنظرة الجماعية إلى الموضوع .

ذلك أن الدعوة الإسلامية في هذا العصر قد ورثت تركة مثقلة بالكثير من العناء ، نتيجة بعد المسلمين عن دينهم في منابعه الأصيلة الصافية ، ومجافاتهم للمنهج الإسلامي الصحيح في مجال الفكر والحياة .

والعدو ـ وقد أمسك بزمام الحضارة المادية ـ يبتدع في محاربة الإسلام كل يوم سلاحاً جديداً ، ويبني مؤامرة جديدة ، وكثيراً ما يحاول الإتيان على البناء من الداخل ، على أيدي من ينتسبون إلى الإسلام ويتسمّون بأسماء بني جلدتنا وقومنا في ساحة من البهتان والزور .

كل هذا ـ وغيره كثير ـ أوجب العمل على تكوين قاعدة صلبة أمينة يقترن فيها الإيمان بالإعداد الصادق وحمل مسؤولية الجهاد ، بحيث يكون الإسلام مع الفرد والجماعة التزاماً في كل خطوة وفي كل حركة ، على إيجابية تباعد عن القاء الحبل على الغارب ، وعن الاستغناء بالهدم عن البناء ، ثم

الإكتفاء بتجريح الآخرين عن إلزام النفس بما ألزمها به الإسلام .

ومن خلال القناعة بتكوين هذه القاعدة التي يكون في مقدورها ـ مستعينة بالله ـ أن تحمل الإسلام عقيدة لا تشوبها شائبة ، وفكراً نيراً لا ينغلق دون الإنتصار العلمي ، وجهاداً لا يقف دونه حب الذات وعبودية الشهوات .. أقول : من خلال القناعة بذلك وجدنا الفقيد رحمه الله يمارس العمل الإسلامي ويعيه وراء حدود الكتاب ومقررات الإمتحان في الأزهر ، حيث جمعه الإخلاص والوعي إلى أولئك الذين وهبوا أنفسهم لقضية الإسلام ، على أساس أنها القضية الأولى التي يجب أن يحيا لها الرجال . رافق ذلك قناعة أن الكفر كله ملة واحدة ،وأن الوثنية اليوم بشتى ألوانها ومظاهرها وعناوينها الخادعة وغير الخادعة تحاول جاهدة مجتمعة الكلمة موحّدة الصف أن تجهز على الوعي الإسلامي ، مهما كلفها الثمن ... أنى وجد هذا الوعي أو لاحت بارقة تدل عليه .

وإذا كان أمر الدعوة الإسلامية اليوم ليس كلمات يلهج بذكرها اللسان ، ويتفكه بها في المجالس ، ولكنه إخلاص وحسن تصوير ، وحمل أعباء ، ومعرفة بالأرض التي قسم الداعية أن يغرس فيها بذور الخير ، وإحاطة بالواقع الذي تعيش الأمة في ظلاله ، وإدراك لما عليه العالم اليوم في أفكاره وعلمه وتطوره الحضاري ، إذا كان أمر الدعوة الإسلامية اليوم كذلك ، فما أيسر أن تتحوّل الدعوة إلى دويلات صغيرة هنا وهناك ، ولكن ما أعظم أن يكون الداعية على وعي وإخلاص يحملانه على الشمول في نظرته إلى الساحة التي يجب أن يكون عليها العمل في ظل دعوة لا تعرف الإقليمية والإنحسار .

وكذلك كانت نظرة الشيخ الحامد رحمه الله ، وكذلك كانت معالم توجيهه وإرشاده لمن ولاّه الله أمر توجيههم وإرشادهم ، فعبثاً تحاول أن تجد عند أولئك الشباب الذين سعدوا بالانتفاع بعلمه وعمله نزعة انطواء عن الخط العام الذي يجب أن تلتقي عليه القلوب ، بل العكس هو الذي يكون دائماً ، صورة عن قناعات الشيخ رحمه الله ، فقد كان همه أن يُعدّهم علماً وإخلاصاً وسلوكاً من أجل أن يكونوا للأمة ، يسلكون لنصرتها الطريق الجماعية الواعية التي تتسم بالإحاطة والتكامل ، ويخرجون إلى الناس نماذج حركيّةً للشباب المسلم الذي يحمل من العقيدة ، صفاء الفكر وسلامة الإدراك لخصائص التصور الإسلامي ، وتتقد بين ضلوعهم روح العمل والجهاد .

رحم الله الشيخ الحامد فلقد كانت هذه الرائعة من خصاله أوضح ما تميزت به شخصيته عند لداته وأقرانه وأقوى ما استعلى به في ميدان الرجولة والوفاء في زمن قلّ فيه الرجال وعزّ للدعوة الإسلامية الوفاء .

وكل ما ذكرنا من خلاله رحمه الله كانت روافد لهذه الرائعة العظيمة ،

ذلك أن وعيه للعمل الإسلامي وما كان من إنعكاس ذلك على الأبعاد والمنطلقات في سلوكه وتصرفاته ، جعل لكل من تلك المزايا والخلال معنىً جديداً ، حتى بدت كل خصلة وكأنها رجل جديد يعمل للإسلام علماً وعملاً وجهاداً .

بل إن استقامة تصوره لطريق الدعوة كيف يجب أن يكون ، جعل من كل واحدة من تلك الخلال سلاحاً يقاتل في معركة الإسلام التي تتحرك على صعيد عالمي . فليس الأمر أمر (( محمد الحامد )) ولكنه أمر رائد من رواد القافلة المؤمنة التي تسربلت على مر الزمن نسيجا من النصال التي يتكسّر بعضها على بعض وباتت كل يوم تقدم شهيداً يزيد في وضوح الرؤية وتحديد معالم الطريق .

وسيظلّ أمر المعركة كذلك ما دام العدو وهو العدو وما دام الدين الذي يراد العمل لإعلاء كلمته هو مضمون قوله تعالى : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً )) حتى يأذن الله بالنصر .

فما لم يكن ديناً يومذاك فليس ـ كما قال الإمام مالك ـ اليوم بدين إلا أن يكون شيئاً مبتدعاً مخترعاً من عند بعض النفوس لا صلة له بالإسلام والعياذ بالله .

ألا إنه ليس كثيراً على الغايات الكبار ما تجود به النفوس الكبار وفي مرضاة الله تعالى تهون الصعاب .. ويستعذب الموت فقد أقعد الشيخ الحامد رحمه الله مرضه الذي كان نتيجة طبيعية للجهد المتواصل ، وما يرهقه من حمل أعباء أمته وما يؤرقه من همومها ولياليها السود . حتى قضى على حال نحتسب عند الله أن يكتب فيها من شهداء العلماء ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وبعد : فسيظل هذا الرجل حجة على كل أولئك الذين يرهبون حمل الراية ، ويجنحون إلى السلامة تحت وطأة تسويلات وتأويلات ، وعلى كل أولئك الذين يأكلون الدنيا بالدين ، ويقدمون للأمة ركاماً من الزيف والإنحراف وسوء التأويل ، يسمونه (( سماحة الإسلام )) وينصرفون عن كلمة الحق باسم (( الحكمة )) والأمل في أن يجنوا من القتار شيئاً غير الشوك . ولله عاقبة الأمور . وما كان ربك نسياً .

محمد أديب صالح

# الشيخ كما عرفته

## للأستاذ عبد الغني الحامد

مقدمة : ولد الشيخ محمد الحامد رحمه الله في حماة سنة ١٩١٠ وتوفي فيها سنة ١٩٦٩ . وكان أبوه الشيخ محمود الحامد شيخ الطريقة النقشبندية في حماه وأمه من بيت اشتهر بالعلم وبالشعر ، فخاله الشيخ سعيد الجابي من العلماء الأعلام ، وجده لأمه الشيخ مصطفى الجابي عالم وشاعر . فنشأ ميالاً بطبيعته الى التدين منذ نعومة أظفاره . مات أبوه وهو طفل صغير ، ولحقت به بعد سنة أمه ، فعاش سني طفولته يتيماً يتولى أمره أخوه بدر الدين ، ولم يكن يومئذ ذا مال أو عمل ، فعانى الشيخ محمد من ذلك في بيته وهو صغير أشد ما يعاني انسان من حالات الفقر والحرمان ، ربما ان شب اتجه الى طلب العلم الشرعي ، وواصل من بعد ذلك دراساته لأحكامه والتعمق في بواطنه حتى أصبح من كبار علماء المسلمين . تزوج بابنة العالم الكبير الشيخ أحمد المراد أمين الفتوى في حماه ، ورزق خمسة أولاد ذكور وابنتين . أكبر أولاده هو محمود الحامد المجاز من كلية الشريعة بدمشق ، وخطيب ومدرس جامع السلطان بحماة بعد أبيه . وللشيخ محمد الحامد من الإخوة اثنان شقيقان ، هما بدر الدين الحامد شاعر العاصي المعروف ، وعبد الغني الحامد مدرس اللغة العربية في اعداديات حماه . وله أخ ثالث من أمه هو نجيب الريس صاحب جريدة القبس الدمشقية سابقاً .

اشتهر الشيخ محمد الحامد بمواقفه الجريئة في الدفاع عن الإسلام ، وبمؤلفاته التي يوضح فيها حقائقه ، وبكثرة الردود على الاستفتاءات التي كانت تأتيه من مختلف المدن والأقطار . وتميز بالتقوى والورع الى أبعد الحدود ، وبالحرص على نشر أحكام الدين وهداية الناس اليها حتى أواخر حياته . ولقد كان يوم وفاته يوماً مشهوداً ، تناقلت فيه الاذاعات العربية نبأ وفاته وعددت له مناقبه . ومشى فيه وراء نعشه آلاف الناس من أهالي حماة ومن وفود المدن السورية يشيعونه باللوعة والدموع الى مثواه الأخير .

كان أخواي محمد وبدر الدين رحمهما الله كل ما أعي من الحياة بعد موت أبوي وانا طفل صغير . كنت في الثالثة من عمري ومحمد في السادسة وبدر الدين في الرابعة عشرة ، ونشأنا نحن الثلاثة في ظروف صعبة مشحونة بالشدائد ، تحملها الينا سنوات الحرب العالمية الاولى فتكاد تذهب بنا لولا معونة الله .

ولقد ألقى الله تعالى في قلوبنا محبة كل منا للآخر ، وإيثاره على نفسه بكل شيء حتى بالضروري من أسباب الحياة .

أما بدر الدين فقد حل محل الأم والأب . وأما أنا ومحمد فقد كنا كغصني شجرة لا يفترقان . نذهب ونؤوب ونطعم ونبيت معا. يدانا متماسكتان وقلبانا متمازجان . في هذه الظروف القاسية عشت أنا ومحمد أول ما تعرفت الى الحياة ، وارتسم على قلبي منه منذ ذلك الحين كل شيء عرفته فيه من الصفات ، فلم أجد شيئا منه قد تبدل فيما بعد عندما كبر وأصبح رجلا الا علمه الذي اكتمل وجهاده الذي برز في خدمة الدين . هو محمد نفسه في السادسة من عمره كما هو بعد العاشرة او بعد الثلاثين والخمسين ، العاطفة الطيبة ، والحنو العميق ، والصدق في القول ، كل ذلك استشعرته منه ونحن صغيران ولم يكن في تلك السن المبكرة يألف من الأمكنة الا المساجد ، يصلي خلف الأئمة ، ويحضر دروس العلماء ويأخذ بحفظ القرآن الكريم .

وكان أبعد ما يكون عن الشر ، أشد ما يكون تحريا للحلال ولو في أصغر الاشياء لم تمش به قدم الى ملهى قط ، والاطفال والفتيان من حوله يتحدثون يومئذ عن ذلك الشيء العجيب الذي يسمونه ( السينما ) والذي فوجئت به البلاد فأدهش العقول . التسلية عنده هي النزهة فحسب ، ولقد اكسبته المناظر الطبيعية حسا شعريا وذوقا سليما صافيا ، بقي أثرهما في نفسه حتى عهد شبابه وكهولته .

هذه أمور أرويها عنه وهو صغير، كنت أحياها معه كل يوم وأشهدها منه سلوكا ثابتا لا يتغير .

وكان أخوه بدر الدين قد أدخله المدرسة الابتدائية ، فلما انتهى منها أراد أخوه أن يتمم له دراسته في المدارس الثانوية ، لكن نفسه انصرفت عنها انصرافا عنيفا ، ومالت به الى دخول مدرسة دار العلوم الشرعية التي افتتحت حديثاً في حماه فأدخله أخوه فيها وتعين بذلك مستقبله في طلب العلم الشرعي .

لقد وجد محمد في هذه المدرسة أمنيته ، فأقبل على العلم الشرعي اقبالا شديدا وظهر تفوقه في الدروس تفوقا ملحوظا ، ولم يكن

يكتفي بدروس المدرسة وحدها بل كان يضيف اليها ما يقوم به من دراسات اخرى شخصية يستكمل بها علمه ، حتى تكونت فيه شخصية العالم المحقق ، ثم انتقل منها بعد أن نال شهادتها بدرجة ممتازة .

وظل بعد ذلك ما يقرب من سنة غير منتسب الى معهد علمي ، يقوم بدراسة العلم الديني واستكمال مواده على أيدي علماء حلب الاعلام، فأفاد منهم علما غزيرا وتحقيقا دقيقا . وكان يرفض أن يشغل عن طلب العلم واستكماله بأي عمل آخر غيره .

ثم لما ان تيسر له أمر الذهاب الى مصر ، شخص اليها ودخل الجامعة الازهرية فوجد فيه مدرسوها عالما موهوبا ، يقرع الحجة بالحجة ، ويناقش في مختلف الاحكام ، حتى شهدوا له بالتفوق والنبوغ . وكان بعضهم يأخذ برأيه فيما يحقق من أحكام شرعية ، ولو انه كان يخالف بها ما يقرر في الدروس على الطلاب ، اذعانا للحق واعتراقا به .

وبعد أن نال شهادة كلية الشريعة من الازهر ، التحق بكلية القضاء فيه ، فأمضى فيها سنتين حتى نال شهادتها بنجاح كبير ، وقد عرض عليه بعد ذلك ان ينتسب لاحد فروع التخصص العالي لينال شهادة الدكتوراه ، ولكنه آثر العودة الى وطنه ، ليقوم بنشر العلم والدعوة الى الله تعالى وبذل الجهد في هداية المسلمين الى امور دينهم ، مرجحا ذلك على التخصص ، وكانت البلاد آنذاك في حالة نضال ضد المستعمرين الاجانب ، فزاد ذلك من رغبته في العودة ليساهم في معركة النضال لتحرير الوطن .

وكان رحمه الله قد عين قبل ذلك وهو ما يزال طالبا في الازهر خطيبا في الجامع الاشقر بحماة ثم نقل منه الى جامع السلطان خطيبا ومدرسا ، فكان يمارس علمه في هاتين الوظيفتين ، يعلي من فوق المنبر صوت الحق ، ويفتح القلوب في الدروس العامة لهدي الاسلام .

وفي معركة التحرير عام ١٩٤٥ كان على المنبر يلهب النفوس حماسة الى الجهاد ، يخطب والطائرات فوقه تحوم لتضرب المدينة بالقذائف ، فلا يخاف ولا يبالي ، بل يمضي في خطابه مجاهدا ومحرضا على الجهاد حتى كتب الله تعالى النصر للامة ، وتحررت من ربقة الاستعمار .

وفي سنة ١٩٣٦ عين مدرسا في ثانوية ابن رشد للتربية الاسلامية ، فأتيح له في هذا المجال أن يتصل بالشباب الصاعد ، وان يلامس بكلامه قلوبهم ، وان يزيح عن كثير منهم كل ما يغشاهم من شكوك واضاليل ، وان يردهم الى طريق الحق ، طريق الله عز وجل .

وظل محمد رحمه الله يعمل في

مختلف المجالات ، يبذل كل جهده في الدعوة الى الله تعالى ، ويبين بجلاء حقائق الاسلام ، يغرف كلامه من قلبه ، ويفرغ عليه من روحه ، فيرد على الشبهات ويدحض الاباطيل ، حتى كان لعمله بتوفيق الله الاثر الحسن الذي وقف نفسه عليه ، فاجتذب اليه النفوس ، وتعلقت به القلوب ، وتأثرت باخلاصه الأرواح . فالتف حوله طلاب لا يفارقونه ، تخلقوا بأخلاقه ، واخذوا عنه تجرده عن مطالب الدنيا وابتغاءه وجه الحق . فرضيت نفسه بهم ، وايقن انه قام بواجبه في خط المنهج الصحيح للسلوك المستقيم وانه قد أرضى الله تعالى فيما أوجب عليه من بيان وتعليم .

وألف كتبا ورسائل دينية كثيرة تداولتها أيدي الناس كشف فيها عن كثير من مواطن الزيغ ، وقرر كلمة الحق كما جاءت في تعاليم الاسلام ، فوثق الناس به كل الوثوق ، لما رأوا فيه من علم غزير واطلاع واسع ، ودقة في تحري الاحكام ونزاهة في كل مايكتب أو يقول فأجمعت على قبول مايفتي به مدينته ، وكذلك سائر المدن الاخرى من بلاد الشام أو من غيرها من اقطار العروبة والاسلام. وكانت تحل على يديه اعقد المشاكل فيوفقه الله تعالى فيها الى احسن الحلول ، وكانت ترد عليه الاسئلة من كل صوب فيجيب عليها كتابة بكل امانة ، ولو كلفه ذلك جهداً كبيراً . وما زال كذلك حتى ثقل عليه العمل واصبح يهدد جسمه بالضعف وبالمرض .

لكنه رحمه الله كان شديد الخوف من الله تعالى ، شديد الشعور بالمسؤولية أمامه ، فلم يتوقف عن عمله ، في مختلف المجالات ، مبتغياً بذلك مرضاة الخالق مفاديا بنفسه في سبيله ، حتى أقعده المرض ، وألح عليه النزف ، فحبسه في البيت مدة ، كان اكثر ما يكون فيها تشوقا الى معاودة العمل في سبيل الله . لتحريك القلوب اليه سبحانه ، وتحبيبها به ، وتعريفها بأحكامه ، حتى يكون اسمه تعالى فيها بمنزلة الضياء من العيون ، فترسخ العقيدة ، وتخلص النيات .

ولقد كان يقول لأطبائه إن أنا شفيت على ايديكم وعاودت العمل للاسلام فكل ما سأقوم به من

عمل سيكون مكتوبا في صحائفكم عند الله .

ولم نكن نسمع منه كلمة تذمر لا تحل شرعا ، بل كان في أشد ساعات مرضه يقول اني راض عن الله ، وما كان يفطن لشيء اذا نزلت به غيبوبة ثم صحا منها الا للصلاة ولذكر الله ، واجريت له عملية جراحية لايقاف النزف لكن كبده رحمه الله كان قد ثقل عليها المرض فاختاره الله تعالى الى جواره في يوم الاثنين الواقع في الخامس من شهر ايار عام ١٩٦٩ في الساعة التاسعة مساء .

رحم الله محمداً ، فقد كان علماً في التقوى والورع ، حجة في العلم قدوة في النزاهة .. هو نفسه كما عرفته في السادسة من عمره ، أواريه التراب اليوم بدمعي ، لم يتغير في خلقه شيء ، ولم يتبدل من أعماله عمل .

بالأمس فقدت أخي بدر الدين الشاعر ، واليوم أفقد أخي محمداً العالم ، وقد كانا لقلبي العينين اللتين ابصرت بهما نور الحياة منذ أن عرفت بعيني نور الوُجود ، فما أشد ظلمة الحياة من بعدهما ، وأي شيء بقي لي فيها الا ذكراهما ، والا ما أفدت منهما من أدب وعلم . رحم الله أخوي رحمة واسعة ، وجمعني بهما في مستقر رحمته . وانا لله وانا اليه راجعون .

## الخطوط الرئيسية للمنهج العلمي

# عند شيخنا الحامد رحمه الله

للأستاذ عبد الحميد طهماز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن سار على طريقه وحمل لواء سنته .

أما بعد : فإن من الواجب عليّ نحو المسلمين أن أسجل لهم بعض مآثر سيدي صاحب الفضيلة الشيخ محمد الحامد رحمه الله بعد أن فجعوا به ، وذلك كي تبقى ملامح هذه الشخصية العظيمة حية في النفوس ماثلة في القلوب ، وانني على يقين أنه رحمه الله ، من الشخصيات الكبيرة التي لا تنسى ، فكل من عرفه أحبه وافقه في رأيه أم خالفه ، فلقد كان له تأثير كبير على القلوب ، يتمتع بجاذبية قوية ، تجعل النفوس متجهة دائما اليه ، مقبلة عليه ، تلتقي لمنطقه العذب أسماعها فيسحرها بيانا ، وتقدم له أفكارها فيملأها علماً ، وتعطيه قلوبها فيعمرها خشوعاً وإجلالاً واحتراماً .

وان الأجيال القادمة ستعرف عنه أكثر من معرفة معاصريه له ، شأنه في ذلك شأن كثير من أعلام الفكر الاسلامي ، الذين ما زادهم مرور القرون إلا جدة وتألقاً .

ولقد كان رحمه الله يردد دائماً : المعاصرة حجاب ، وجارية الحي لا تطرب . ومع ذلك فان عصره لم يستطع حجبه عن معاصريه ، وأهله وتلاميذه ما طربوا لغير صوته وما أنسوا بسواه ، وما انصرف عنه أحد إلا لهوى في نفسه وشهوة جامحة في قلبه . كان يكرر كثيرا هذا المعنى : لابد لمريد الحق أن يصل اليه ، وما أراد رحمه الله في جهاده المرير الا الحق ، فوصل اليه وعرفه وأخلص له ، وعاش طيلة حياته مدافعا عنه حتى لاتشوبه شائبة ولا يخالطه لوث ، ساهراً حول حريمه وحدوده ، ولم يستطع الباطل رغم قوته وكثرة حيله وتعدد أشكاله وألوانه أن يجد ثغرة ينفذ من خلالها ، أو ثلمة يتسلل منها ، فكلما اقترب من حمى الحق وجد الشيخ الحامد رحمه الله تعالى متصديا له راصدا لحركاته ، شاهرا في وجهه سلاح العلم ، راميا له بقذائف الإيمان ، فلا يملك الا أن يولي هاربا قبل أن

تتزلزل أركانه ويندك بنيانه .

ولما كان العلم أمضى أسلحته التي دافع بها عن حياض الشريعة ، وجدت لزاماً عليّ أن أسجل ما أعرفه من الخطوط الرئيسية للمنهج العلمي الذي أخذ رحمه الله نفسه به ، وفاءً مني للعلم الذي أخلص له ، وللرسالة التي قدم لها عصارة فكره ، وسقاها برحيق روحه ، وعطّرها بشذى أنفاسه ، وحتى تكون منارات يهتدي بها من يريد من طلاب العلم أن يسير على طريقه وأن يقتفي آثار خطواته .

## القرآن الكريم

وهو مع السنة الشريفة المحوران الأساسيان لحياته العلمية رحمه الله تعالى ، فقد كان حافظا له متقنا لعلومه . وبهذه المناسبة أحبذ أن أشير الى كتاب في موضوع علوم القرآن الكريم ، كان سيدي رحمه الله يثق به ويحب مؤلفه ، وهو كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني رحمه الله مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بكلية أصول الدين في الأزهر الشريف ، قرأه سيدي رحمه الله أثناء دراسته في مصر فوجد فيه بعض الأخطاء العلمية الصغيرة فنبه مؤلفه اليها ، فتقبلها رحمه الله واستدركها في الطبعة الثانية للكتاب وأهدى الى سيدي نسخة منها وقد خصص رحمه الله للقرآن الكريم يومين من درسه العام الذي كان يلقيه كل يوم قبيل صلاة العشاء في مسجد السلطان خلا ليلة الجمعة ، يلقي فيهما دروس التفسير حتى تمكن من تدريس تفسير القرآن الكريم مرتين تقريبا .

وما كان رحمه الله يلقي درساً حتى يحضر له تحضيراً كاملاً ، يصرف له وقتاً كبيراً يمتد أحياناً من بعض الظهر الى غروب الشمس ، لا يترك رغم غزارة علمه مرجعاً في التفسير مما عنده الا ويعود اليه ، جل اعتماده في تفسير آيات الأحكام على كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، وكتاب مذكرة تفسير آيات الأحكام الذي كان مقرراً تدريسه لطلاب كلية الشريعة احدى كليات الجامع الأزهر سنة ١٣٥٣ هـ .

يضع أمامه على منصة الدرس كتاب تفسير الخازن ، ولكنه يضع في قلبه عصارة الجهد الطويل الذي بذله في تحضير درسه ، حتى أخذ درسه العام صفة الدرس المنهجي الخاص فلم يثبت عليه الا صفوة من تلاميذه وأمناء روحه استعذبوا صعوبته وعشقوا غوصه على المعاني العميقة ، وتبحره في الفروع الدقيقة ، يقف أحياناً عند الآية الواحدة عدة دروس حتى يستكمل بيان معانيها ، والأحكام المتفرعة عنها ، واستدلالات العلماء المختلفة منها .

ولقد كنت أخشى عليه من كثرة ما يبذل من جهد وعناء في هذه الدروس ، فأرجوه ألا يتوسع كثيراً في شرح الآيات ، وألا يقف عندها طويلا ، فيجيبني رحمه الله تعالى : العلم لا يكون الا هكذا .

يستعين لتفسير الآيات الأخرى بأوسع المراجع ، أفضلها عنده كتاب روح المعاني للألوسي وأكثرها تحقيقا في نظره ابن كثير ، وأدقها في العقيدة كتاب مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

يقرر عقيدة أهل السنة من خلال تفسيره للآيات التي فيها بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، ومباحث العقيدة لها الصدارة عنده لعلمه بخطرها وكثرة مزالقها وشدة حاجة الناس اليها ، قال رحمه الله في ذلك : الاعتقاد هو الأصل الأصيل ، وهو الركن الركين وهو الأول الأول ، والعمل الصالح يقع ثانياً في المرتبة ، ا هـ ردود .

ومعاني العقيدة الدقيقة الخطرة لا يستطيع التعبير عنها إلا الأفذاذ من العلماء ، ولقد كان رحمه الله يعرف مقدار تمكنه في هذا الميدان ، حتى صرح لي مرة بأن في العقيدة معاني لا يستطيع أحد أن يعبر عنها سواه ، ولم يقل رحمه الله ذلك افتخاراً ، إنما قاله تحدثاً بنعمة الله عليه وغرساً للثقة به في قلوب تلاميذه حتى يكمل انتفاعهم به ، وانتفاع التلميذ باستاذه بمقدار ثقته به ، وليرجع كل من يريد أن يتأكد من هذه الحقيقة الى رسالة صغيرة لسيدي رحمه الله في موضوع القدر ، سماها التدارك المغتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر ، وفيها خاتمة في أفعال العباد واتصالها بالقضاء والقدر .

وكان رحمه الله يحب التخصص في ميادين العلم ويتمنى أن يوجد متخصصون في علم التفسير .

وقد سمعته مراراً يقول : إن في علم التفسير بحوثاً شائكة ، قامت حولها معارك علمية كبيرة وحبذا لو كان عندنا متخصصون في كل فرع من فروع العلم ، أصبحنا يا بني مضطرين الى التنقل من علم الى علم ومن فن الى فن لنسد الفراغ ونملأ الساحة . ا هـ . وأشهد ويشهد معي كل من عرفه وقرأ له أنه ملأ الساحة العلمية بكل أبعادها وجوانبها . ولقد دلني رحمه الله على بعض هذه البحوث ، وسمعته يتناول بعضها عندما مر بها خلا دروس التفسير ، فما جاوزها حتى خاض غمارها ، وحل عقدها ، وأزال لبسها ، وخرج منها ظافرا منتصرا ، وقد حفظ لمستمعيه من العامة والخاصة سلامة عقيدتهم وصفاء قلوبهم .

القرآن الكريم في نظره رحمه الله كتاب هداية وإرشاد ، وقد جعل ذلك عنوانا لمقولة قال فيها : « أنزل الله سبحانه القرآن الكريم هادياً ومرشداً الى السبيل الحق

وموجهاً الى السعادة الصحيحة ، أنزله الله سبحانه ناصحا ومربيا ، وضمنه من التشريعات الصالحة ما تكفل للعامل به الهناءة في دنياه وأخراه ، تقويم للاعتقاد ، تصحيح للخلق ، ترغيب في الثواب ، ترهيب من العقاب ، قصص حق يريك الماضي حاضرا ، وينقلك إليه حتى لكأنك شاهد دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى » . اهـ ردود .

وليس القرآن الكريم عنده رحمه الله كتاب نظريات علمية وحسابات رياضية ، وحول ذلك قال رحمه الله : إياك أن تتوهم أن القرآن الكريم جاء يبحث النظريات العلمية تفصيلا ، إن هذا الوهم لا ينبغي أن يطيف بالأذهان ، فما يستهدفه القرآن هداية وارشاد ، لا تقرير لقاعدة حسابية ولا برهان على نظرية هندسية ولا تفصيل لدقائق الكيمياء ، وإن دعا الى التبحر في كل علم نافع للحكمة التي ذكرناها ، إن محاولة استنتاج النظريات العلمية من القرآن الكريم تعسف لا يُرضي ، وتكلف لا يحمد . فليعلم هذا فقد زلت فيه بعض الأقدام . وبربنا سبحانه نعوذ من الزلل . اهـ ردود .

والحقائق العلمية التي أشار اليها القرآن الكريم في معرض دعوة الناس الى التفكير في بديع صنع الله تعالى لا تتعارض مع العلم الصحيح ، قال رحمه الله ، « القرآن الكريم يعرض على الإنسان صور هذا الكون عرضا صحيحا لا غبار عليه ، ولا يقرر الا الواقع الذي لا يتصل بالخيال ، ولا يناقض العلم الصحيح أيضا ، وهذا العرض حكمته الأولى توجيه القلوب الى بارئها ، ولذا أمر بالتفكير في المصنوعات الربانية ، وشيء آخر هو الانتفاع بما خلق الله وسخر للإنسان من مكونات تفيده في قطع مراحل حياته فيعيش عيشاً رغداً متمتعاً بثمار هذا الكون » . اهـ ردود .

جل اعتماده في تفسير القرآن الكريم على القرآن . وكان رحمه الله يقول : لابد لمن يريد تفسير القرآن من حفظ القرآن ، ولهذا كان يوصي تلاميذه بحفظ القرآن الكريم ويحضهم عليه حتى أصبح بينهم عدد لا بأس به يحفظ كتاب الله تعالى . ويستعين بعده بالصحيح المأثور عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمنقول عن أصحابه والسلف الصالح من علماء التابعين ، يقف من الإسرائيليات موقف السلف الصالح ، فما عارض منها نصوص الكتاب والسنة رده ، وما وافق قبِلَهُ مع بيان مصدره وكشف هويته .

ويزيد في جمال دروسه في التفسير قوة في بيانه وسلاسة في طبعه ، ووضاحة في لسانه وعذوبة في منطقه ، تمده ذاكرته الجبارة بروائع الشعر ونفائس الحكم ونوادر الأمثال ، يلف كل ذلك

بوشاح مستمد من روحه القوية الخاشعة أمام كلام الله ، وبتوجيهات قلبه الكبير العامر بذكر الله تعالى .

وما أكثر ما تمر به آية كريمة تلامس الحس في قلبه الشريف فتفيض دموعه ويرتفع نشيجه ويعلو ويهبط صدره ، وتزين ذلك كله هيبة العالم وجلال الذاكر وخشوع العابد ، ألا ما أعذب هذه السويعات وما أحلى هذه الأوقات ذهبت بذهابه وانقضت بموته فلا حول و لاقوة إلا بالله العلي العظيم .

يقسم آيات كل سورة الى مجموعات صغيرة متجانسةمتقاربة، يبدأ الدرس بتلاوتهـا بصوته ذي النبرة العذبة والنغمة الحلوة ،ويعيد تلاوتها في ختام الدرس ويتفرق تلاميذه وفي آذانهم عذوبة الصوت، وفي قلوبهم يقينالايمان وفيأفكارهم صفاء المعرفة ... لا يترك شبهة ولا يغادر بدعة ، إذا أحس أن أحداً من تلاميذه متأثر ببدعة أو شبهة ارتفع صوته واحمر وجهه أثناء الدرس غضباً لدين الله تعالى ولحرمة كتاب الله ، وما أجمله إذا غضب يزأر زئير الأسد ويتدفق العلم من فمه تدفق السيل ، ولا يهدأ حتى يطهر قلوب تلاميذه وعقولهم من أي أثر لشبهة أو بدعة ، كان رحمه الله سريع الغضب ، سريع الرضى، وما كان غضبه إلا لدينه ولربه ، وهو في غضبه متمكن راسخ كالجبل فلا يزل لسانه ولا يتغيّر جنانه .

تدفعه أمانته العلمية الى عرض كل أقوال العلماء في تفسير آيات كتاب الله تعالى ، ثم يختار منها أقربها الى روح كتاب الله تعالى فيقويه مبيناً وجهة نظره شارحاً أدلته وبراهينه ، مقارناً لها مع أدلة الآخرين ، وأحيانا لا يكتفي برأيه رحمه الله بل يحمله تواضعه لسؤال من حوله من تلاميذه عن رأيهم في ذلك ، يفسح لهم مجال المذاكرة والمناقشة حتى يقتنع بقناعتهم ويطمئن لحسن فهمهم ، وربما أعاد النظر في رأيه وأخذ برأي بعض تلاميذه وأعلن تراجعهعن رأيه القديم ولو بعد مرور عدة أيام.

وبعد كل هذا فقد خصص لتلاوة القرآن الكريم جزءاً من يومه يتلو فيه آيات الكتاب لنفسه ويغرف بقلبه الكبير من بحار نوره وحدائق نوّره . وكان يدعو الناس لذلك ، قال رحمه الله في ( نصيحة الى الشباب ) : « وليكن لكل منا مجلس مع ربه سبحانه يتلو كتابه ويذكره بما يشاء من صيغ الذكر فإنالذكر يصقل القلب ويهذب النفس وينعش الأرواح ، وما خير المسلم إذ كان جافاً لا يرق له قلب ولا ينهمر منه دمع ، إن قساوة القلوب تدأوى بذكر الله » . اهـ ردود .

وكم كان يشكو رحمه الله ويتألم من كثرة أعماله العلمية والاجتماعية لأنها تحرمه أحياناً من قراءة كتاب الله تعالى ، وتحول بينه وبين متعته الكبرى في تدبر آيات القرآن العظيم .

## السنّة

وهي المحور الأساسي الثاني لنشاطه العلمي ولحياته العملية رضي الله عنه ، وعمله العلمي فيها ذو فرعين رئيسيين : السيرة الشريفة والحديث الشريف .

أما السيرة الشريفة فكان رحمه الله مشغوفاً بها مولّهاً بدرسها وتدريسها ، ولا عجب في ذلك فحبه لها تعبير عن حبه العظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد وصل رحمه الله في طريق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الى نهاية ما بعدها نهاية ، والى قمة ليس فوقها قمة ، وشرب كأس المحبة كله فما أبقى منه شيئاً . الشوق الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مركبه ، ما أنس إلا به وما سعد بسواه ، وما أكثر دموع الشوق التي زرفها في هدآت الليل وفي الخلوات والجلوات ، وما أعظم الآهات والزفرات التي صدرت من ذلك القلب التقي النقي المرهف الشعور والإحساس .

لقد بلغ رحمه الله من رهافة حسه ودقة شعوره الى أن أوصى كل من أراد الحج ألا يأتي لتوديعه ، يخشى رحمه الله ألا يتحمل قلبه هجمات الشوق ودفقات الحنين . ولقد حج رحمه الله مرة واحدة في حياته وكان يتمنى الحج والزيارة كل عام لكن ورعه وتقواه منعاه من تحقيق أعز أمانيه ، كان يقول : كيف أذهب الى الحج وأترك البلد خالية ليس فيها من يفتيها ويحل قضاياها الشرعية بعد أن ذهب معظم العلماء الى الحج ، وكيف أذهب الى حج النفل وأترك طلابي في المدرسة وهم أمانة في عنقي أسأل عنهم أمام الله تعالى ! ولما أحيل على التقاعد بطلبه كان يمني نفسه بالحج والزيارة ولكن المرض ما أمهله وقضى رحمه الله واللوعة تأكل قلبه وحرقة الشوق تذيب فؤاده .

استأذنه أحد المتيمين بحبه من أهالي بيروت أن يأذن له بإقامة مجلس شريف للصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأجاب رحمه الله وهو يعاني آلام المرض في المستشفى : لو استطعت أن آمر حفظتي

بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفعلت .

وقد يلومني بعضهم ويدعي أنني خرجت عن نطاق البحث وتجاوزت الحد ، لا تتسرع يا لائمي ولا تعجل ، إن الحديث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يكون حديث عقل فقط بل لابد للقلب أن يتحدث مع العقل ، وكان سيدي رحمه الله يَتَخيَّر من كتب السيرة ما كتب بعقل مؤلفه وقلبه حتى يتوفر له تحقيق العالم وعاطفة المحب الصادق .

اختار لدرس السيرة المسائي كتاب السيرة النبوية والآثار المحمدية لمؤلفه السيد أحمد زيني المشهور بدحلان رحمه الله ، وخصص له ليلة كل اسبوع هي ليلة الخميس ، وكان رحمه الله يقول : هذه ليلة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . هذه الليلة كانت أجمل ليالي الأسبوع في السلطان تلتقي فيها أنوار السيرة الشريفة مع توجهات القلب الكبير المتيم بحب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فيفيض النور ويزداد السرور ويتلاشى أربعة عشر قرناً من عمر الكون لتعيش الأرواح والقلوب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنها ولدت في تلك الساعات وشهدت معه صلى الله عليه وسلم تلك المشاهد ، وإن كل من شهد هذه الدروس لن ينسى حلاوتها ولن يغيب عن قلبه أنسها ، ولنستمع الى مستشرق ألماني يُدعى الدكتور غونتر رودمان ، طوّف في بلاد العرب من أقصاها الى أقصاها ومرّ في تطوافه على حماه وبقي فيها قرابة شهر داوم خلال إقامته على دروس سيدي رحمه الله الصباحية والمسائية وبعد انتهاء جولته وعودته الى بلده كتب رسالة مطوّلة الى سيدي رحمه الله وصف له جولته على المعاهد العلمية الشرعية في مختلف البلاد العربية وسجل له بعض انطباعاته عن الإسلام والمسلمين ، ومن جملة أقواله في هذه الرسالة : وفي الختام أريد انتهاز الفرصة لأقدم لكم شكري العميق على ضيافتكم الكريمة التي أتاحت التعمق في روح الاسلام الذي أثر على تفكيري كثيراً وإنني أتذكر دائماً بشوق دروسكم وخاصة مساءً في المسجد ، في هذا المجال ظهرت شخصيتكم الكريمة بوضوح وإنني لن أنسى تأثيركم الشديد خلال قراءة سيرة الرسول الكريم الذي لمس قلبي وجعلني ألحظ إيمانكم العميق وإنني أتمنى لمجهودكم كل النجاح وأرجو التوفيق في إنهاء كتابكم الجديد التي شهدت تصنيفه . اهـ

وقد تمكن رحمه الله من تقرير السيرة تدريساً عدة مرات أراد في آخر حياته تدريس كتاب الشفاء في حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للقاضي عياض رحمه الله ولكن المرض عاجله وحال بينه وبين ما يريد فأوصاني رحمه الله عندما وعدته في بيروت وقت وداعه أن أقرأ في الدرس كتاب الشفاء ،

والحق أن هذا الكتاب من أنفس ما كتب في موضوع السيرة ما سبقه في ترتيبه وتبويبه أحد وما لحقه ، إنفرد بتحقيقات علمية كبيرة ما تمكن غيره منها ، وهو في الوقت نفسه حديث عالم مترع القلب بحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أشرقت على كلماته أنوار النبوة ولمعت بين سطوره علامات المحبة .

رحمك الله يا سيدي ما رأيت مثلك أحداً يعرف أقدار العلماء ويدل على مواطن الفضل .

وكم كان يتألم حين يلمس بين الناس جهلاً بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعراضاً عن درسها ومدارستها وانكباباً منهم على دراسة حياة من لا يصلحون خدماً لنعل النبي صلي الله عليه وآله وسلم ، فلا يملك رحمه الله سوى التألم والتأسف والتحرق ، ولقد عبّر عن حرقته هذه بخطب منبرية خصصها لموضوع السيرة الشريفة بيّن فيها وجوب تعلمها وتعليمها وخاصة لجيل الأمة الناشىء وكان يذكر الناس بقول سعد بن أبي وقاص لأولاده وهو يعلمهم مغازي النبي صلى الله عليهُ وسلم ، كان رضي الله عنه يقول لهم خذوها يا بني فإنها شرفكم .

وما كان رحمه الله يعتذر عن محاضرة أو خطبة بأي مناسبة تتصل بحياته صلى الله عليه وآله وسلم ، أذكر أنه طلب منه منذ سنتين أن يلقي كلمة في الحفل الرسمي في ذكرى ميلاده صلى الله عليه وسلم . وكانت بوادر العلة التي توفي بها قد بدأت تتعبه وكثرة الأعمال أخذت ترهقه ، فشكالي رحمه الله كثرة أعماله وسوء صحته ، فقلت له : يا سيدي لو اعتذرت عن هذه الكلمة فكان جوابه رحمه الله : إنني استحيي من النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعى للكلام في ذكرى مولده الشريف ولا أتكلم بها شيئاً . وتكلم رحمه الله زهاء الساعة وتكلمت معه قلوب الناس ودموعهم .

## الحديث الشريف

وبمقدار حبه العظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أحب الحديث الشريف ، واعتنى به رحمه الله عناية كبيرة ، لأنه في نظره ، فضلاً عن كونه كلام المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، الركيزة الثانية للدين الحنيف وللشريعة المطهرة التي عاش طيلة حياته خادماً لها مدافعاً عن حياضها محافظاً على صفاء جوهرها وسلامة عنصرها وفي هذا قال رحمه الله : النبي عليه وآله الصلاة والسلام سراج منير أنى سار أنار وحيثما اتجه أضاء ، قوله مشرع ، وفعله شرع ، وتقريره شرع . اهـ ردود .

أنس به أنسه بصاحبه صلى الله عليه وآله وسلم فكان يرتاح بقراءته من عناء الجهد العقلي الكبير الذي يبذله في دروس الفقه الصباحية ، فكلما ختم درس الفقه الصباحي لجأ الى الحديث الشريف يستروح منه الروح والريحان، ويستنشق منه عبير أنفاس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فينسى متاعبه وتزول عنه آلامه .

وهكذا قرر كتاب تيسير الوصول للشيباني وهو كتاب من أنفس ما ألف في موضوع الحديث الشريف جمع فيه مؤلفه أحاديث الكتب الستة لأعلام مؤلفي الحديث : مالك والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي رحمهم الله وبوبها بحسب الموضوعات ورتب موضوعاتها بحسب ترتيب الأحرف الأولى منها .

وخصص رحمه الله ليلة في الأسبوع هي ليلة الأربعاء لتدريس الحديث الشريف في اندرس العام وكان آخر كتاب درسه كتاب الأربعين مع شرحه للإمام النووي رحمه الله وقبله الترغيب والترهيب للمنذري وقبله الجامع الصغير للسيوطي ولا أدري ماذا قرأ قبل الجامع الصغير وإن كنت أرجح كتاب الصحيح للبخاري رحمه الله .

وفي درس الحديث الشريف كان يسرع رحمه الله حتى يقرأ أكبر عدد ممكن من الأحاديث الشريفة ويقف طويلاً عند أحاديث الصفات فيشرحها شرحاً وافياً مبيناً مذهب السلف والخلف فيها مبعداً عن قلوب تلاميذه كل شبهة ناتجة عن سوء فهم لظواهر الكلم النبوي الشريف . ويقف أيضاً عند أحاديث الأحكام ليقرر كل الأحكام الشرعية المستنبطة منها ويبين استدلالات الأئمة المختلفة منها . ويرجح أحياناً بعض الاستدلالات على بعض ويقول هذا الحديث يشهد للإمام الفلاني وهذا يشهد لفلان ولكنه يختم بحثه بقوله : لكل دليله رحمهم الله جميعاً . ولا ينسى رحمه الله أن ينشر خلال ذلك كله قواعد مصطلح الحديث شارحاً لها وموضحاً لغوامضها يضرب لها الأمثال الواقعية مما يمر به من أسانيد ومتون ، ولكثرة حبه وشغفه بالحديث الشريف ومطالعته له تكونت لديه رحمه الله ملكة علمية يستطيع بواسطتها أن يميّز بين الحديث الصحيح والموضوع ، فكان إذا سئل عن حديث موضوع يقول : لا تلوح على هذا الكلام نوار النبوة ، ولكنه رحمه الله لأمانته العلمية ما كان يتسرع في حكمه حتى يرجع الى المصادر الحديثية ليتأكد من هوية الحديث .

يغضب أشد الغضب ممن يراه يرد حديثاً نبوياً شريفاً ويوصي بأن

يؤخذ كل علم شرعي من منابعه الأصلية فعلم التفسير يجب أن يؤخذ من كتب التفسير والحديث من كتب الحديث والفقه من كتب الفقه .

**الفقــه**

احتل الفقه في حياته العلمية رحمه الله المكانة الأولى واستهلك قـدراً كبيراً من جهوده العلمية وذلك لعدة أسباب منها :

١ً ــ الفقه ثمرة الكتاب والسنة ولهذا المعنى كان رحمــه الله يردد كثيراً : الفقهاء هم الأطباء والمحدثون والمفسرون هم الصيادلة ، وهو من كـلام الأعمش لأبي حنيفة رحمه الله تعالى .

٢ً ــ الفقه علم الحلال والحرام ، وهذا يحتاج إليه الإنسان في شتى شؤون حياته ، وقد بين رحمه الله هذا المعنى في تصديره لكتاب الحيض والنفـــاس فقال : لست أقصد في تصديري لهذه الرسالة الى بيـان فضل علم الفقــه الإسلامي فإنه غني عن البيان ، إذ هو الإسلام والإيمان وقد دخل مع متبعيه كل مدخل ، وخرج معهم كل مخرج ، وهو الدين بمعناه الكامل الذي ارتضاه الله سبحانه لنا عبادات ومعاملات ومناكحات وحدوداً وزواجر ، وخططـاً ندرأ بها عنا لتأمن علينا شر العدو المغير الذي يريد تدميرنا وطمس المعالم التي قام عليها مجدنا وعمرت بلادنا هذا الى أحكام توزيــع التركات في المواريث وتقسيمها في المستحقين . ا هـ

وقوله رحمه الله عن الفقه إذ هو الإسلام والإيمان . لأنه عماد الدين فقد روى الدارقطني والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ، ولفقيه واحـد أشـد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ) .

وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( فقيه واحد أشد على الشيطان مـن ألف عابد ) .

وروى البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : ( من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ) ورواه أبو يعلى وزاد فيه ( ومن لم يفقهه لم يبال به ) .

ومنهجه رحمه الله تعالى في الفقه يقوم على الأسس التالية :

١ً ـ التزام آراء أئمة مذاهب الفقه الإسلامي واحترامها والوقوف عند حدودها ولقد كتب رحمه الله في هذا الموضوع بحثاً مطولاً وهو على فراش المرض تحت عنوان « لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية » ، نشره الشيخ أحمد البيانوني في كتابه « الإجتهاد والمجتهدون » ومما قال فيه : إن أفكار الأئمة أبعد من أنظارنا القاصرة وأعمق ، قد أسرجوا لنا الفقه وألجموه فما علينا إلا أن نتبع ما قرروه ، كما لو أفتونا به وهم أحياء ، ولا سيما والأحاديث النبوية الشريفة فيها صحيح الثبوت ، وفيها حسنه ، وفيها ضعيفه ، ومنها المنسوخ حكمه ، ومنها الموضوع المصنوع الذي لا أصل له فاقتحام لجة الإجتهاد مهلكة على الضعفاء . ا هـ

٢ً ـ الدراسة الفقهية عنده رحمه الله لا تقتصر على دراسة الأحكام فقط مجردة عن أدلتها بل تتعدى الى دراسة الأحكام مع أدلتها ، وهو ما يعبر عنه اليوم بالفقه الإستدلالي ، ولهذا كان رحمه الله يقرر في درسه الصباحي كل يوم هذا النوع من الفقه ، قرأ أولاً كتاب الاختيار وفيه زبدة أدلة الفقه الحنفي ثم انتقل منه الى كتاب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للعلامة الشيخ عثمان ابن علي الزيلعي الحنفي وهو من أعلى وأوسع ما ألف في فقه الدليل للمذهب الحنفي ، وقل من العلماء من يرجع الى هذا الكتاب لصعوبته ، وقد قرر تدريس قسم منه في أقسام التخصص العالي في الأزهر الشريف . بدأ به رحمه الله منذ سنوات عديدة وله عليه تعليقات واستدراكات استخلصها من أمهات كتب المذهب مثل الهداية والعناية وفتح القدير وحاشية ابن عابدين وتقريرات الرافعي عليه وشرح المجلة للأتاسي وغيرها ، ولم يقدر له إتمامه فقد توفي رحمه الله بعد أن وصل الى أول كتاب الصرف من المجلد الرابع .

٣ً ـ أما الأحكام الفقهية المجردة فكان يقررها في دروس الفقه المسائية أثناء الدرس العام وقد خصص للفقه يومين لكل اسبوع قرر فيهما بحوثاً كثيرة من حاشية ابن عابدين وكتاب مراقي الفلاح وفي السنوات الاخيرة بدأ بتقرير كتاب الهدية العلائية مع حواشي وتعليقات وضعها على هامشه وكان يمليها على طلابه أثناء الدرس ، وهي من أنفس التعليقات وأدقها حرر فيها كثيراً من المسائل بحيث تغني قارئها عن المطولات الفقهية ، وتوفي رحمه الله قبل أن يكملها .

٤ً ـ إن دروسه في الفقه شاملة لكل أبوابه ولم يكن رحمه الله يقتصر على فقه العبادات بل اهتم كثيراً بفقه المعاملات والأنكحة ، وكان رحمه الله يدرك مدى حاجة الناس إليها ومدى جهلهم بها ، وأذكر أنه قرر دروساً في فقه

المعاملات وجعل عمدته فيها رسالة صغيرة في المعاملات ، وحض علمـــاء حمص على نشر رسالة قيمة في المعاملات للشيخ عبد القادر الخجا الحمصـي رحمه الله ، فنشرت مع مقدمة له بين فيها حاجة النـاس الى فقه المعـاملات وضرورة نشر مثل هذه الرسائل العلمية بينهم .

٥ً ـ التزم رحمه الله فقه المذهب الحنفي تطبيقاً وتعليماً مع احترامـه لبقية المذاهب ولآراء أئمة الاجتهاد ولكل بحث علمي صحيح ، قال رحمه الله في بحثه لزوم اتباع مذاهب الأئمة : ونحن بأي حال نحترم البحث العلمـي الصحيح ونعظم القول فيه كائناً ما كان ومن أي مصدر كان . ا هـ بل كان رحمه الله ينكر على من يريد أن يحمل الناس على إلتزام مذهب واحد ، قـال رحمه الله في ذلك : وليس القول الآن في المقارنة والترجيح بل القصد كل القصد الى احترام الخلاف في الفرعيات التي مهما اتجه المرء الى أي جانب من جوانبها وجد له سلفاً من العلماء لهم وجهـة نظر يدللون عليها ويبرهنون ، وليس الصواب في مثل هذا تحجر الواسع .ا هـ ردود .

٦ً ـ والتزامه رحمه الله تعالى بقواعد المذهب الحنفي لا يعني ترك أحكام غيره من المذاهب ، بل كان يدعو رحمه الله الى الإلتزام بأي مذهب من المذاهب الفقهية المدونة ، إلا أن أمانته العلمية كانت تمنعه من الافتـاء بغير المذهب الحنفي فكان يحيل السائل الى علماء المذاهب الأخرى ويقول رحمه الله : أهل مكة أدرى بشعابها .

٧ ـ إن اختلاف أئمة المذاهب في بعض الأحكام الفرعية رحمة للأمـة ولهذا كان يفتي لملتزم مذهب معين بأن يأخـذ بأحكام مذهب آخـر عنـد الضرورة . وقد أخذ رحمه الله في آخر حياته بمذهب الإمام مالك رحمـه الله في أحكام الطهارة لأنها أيسر وخاصة أثناء المرض واستفتى في هـذا الموضوع أحد علماء المذهب المالكي في الأزهر الشريف .

٨ً ـ وإغلاق باب الاجتهاد لا يعني في نظره رحمه الله وقوف الشريعة جامدة أمام الجديد من الحوادث . والمخلص بيّنه رحمه الله فيما كتبه حول لزوم اتباع مذاهب الأئمة قال رحمه الله :

نعم قد تعرض بعض الحوادث في زماننا هذا مما لم يعهده الناس من قبل فيتشوفون الى معرفة أحكامها ، والمخلص الوحيد من الحيرة هو النظـر في فروع الفقه وقواعده الكلية فإنه كفيل بتعريفنا بحكم الجديد من الحوادث ، فلقد توسع أقدمونا من الفقهاء ، في تقرير الحوادث واستنباط أحكام لهـا

فكتبوا كثيراً وكثيراً جداً ، حتى صار ما كتبوه بحورا زاخرة ، يغوص الغواصون الى قعورها ، ويستخرجون منها دراً صافية جديرة بالإعجاب . على أنه لا مانع من الإجتهاد للتعرف الى أحكام جزئية فردية طارئة ، ولكن لا يتقنه إلا أفراد معدودون الآن تتمخض عنهم بلاد الإسلام وأقطاره ، وليس هو لكل من يرى نفسه عالماً ، أو يزعمه البسطاء من الناس عالماً .

وإنما أجزنا هذا لأن الإسلام كامل في ذاته ، وما من حادثة تقع تحت أديم السماء إلا وله حكم فيها ، وقد قال الله تعالى : ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » .

فلن يقف شرع الله الكامل جامداً أمام الحوادث لا يبدي حراكاً ، وقد نفى الله سبحانه النقص عنه . اهـ .

ولهذا اعتنى رحمه الله بفقه الدليل دراسة وتدريساً لا لأنه لم يثق بأقوال الأئمة بل من أجل الجديد من الأحداث ومعرفة حكم الله فيها . وهذا أيضاً يفسر لنا كثر توارد الأسئلة الشرعية عليه من شتى أقطار العالم الإسلامي دون غيره من العلماء .

**آثاره العلمية**

لم يتناول رحمه الله في معظم آثاره العلمية بحوثاً نظرية محضة أفرد لها تأليفاً خاصاً ويعود ذلك لسببين :

١ً ـ اعتقاده أن علماء السلف من الأمة تناولوا جميع المواضيع أصولاً وفروعاً وسيرةً وتأريخاً فلم يتركوا رحمهم الله لمن بعدهم شيئاً .

٢ً ـ كثرة أعماله رحمه الله تعالى فقد كان يقوم بأعمال علمية واجتماعية ينوء بها العديد من كبار العلماء . ولم يتخل عن شيء منها حتى استعمرت العلة كبده وأنهكت جسمه .

رجوته مرة أن يسمح لي بالقيام بأعباء الدرس العام مكانه بعد أن رأيته متمدداً في المسجد إعياءً ثم خرج وهو يتوكأ على بعض تلاميذه ، فقال لي : دعني ألقى الله وأنا أطلب العلم ، ثم ذكرني بالحديث الشريف الذي رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ( من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه

وبين النبيين إلا درجة النبوة .

وكم تمنى رحمه الله أن يجد في حياته وقتاً لتأليف كتاب يتناول فيه موضوع التصوف ضمن القيود العلمية والقواعد الشرعية ، يتحدث فيه عن حياة شيخه في الطريقة النقشبندية سيدي الشيخ محمد أبي النصر خلف رحمه الله تعالى وفاءً منه لشيخه العظيم الذي ما نسيه طيلة حياته وما حاد عن نهجه وطريقه . وهو الكتاب الوحيد الذي تمنى تأليفه وتمنيته وتمناه كل من عرف سيدي رحمه الله فعرف فيه قلب الذاكر وفكر العالم وأحاسيس الشاعر .

ولم يكتب رحمه الله تعالى ما كتب إلا مضطراً بدافع استشعاره بمسؤولية العالم الكبرى أمام الله تعالى في الدفاع عن هذا الدين وتخليصه من كل الشوائب التي حاول أعداؤه إلحاقها به تشويهاً لجماله وطمساً لنوره ، بيّن هذا رحمه الله في مقدمة كتاب ( ردود على أباطيل ) فبعد أن ذكر بعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة التي تهدد العلماء الذين يقصرون في نشر ألوية العلم . قال رحمه الله تعالى : هذه التهديدات عملت عملها في نفسي فدفعتني الى البيان دفعاً فراراً من لعنة الله الى رحمته وإنقاذاً لمهجتي من عذابه الأليم ، وعقابه العظيم . اهـ ثم قال رحمه الله : ومن طريف ما اتفق لي وأنا طالب في كلية الشريعة إحدى كليات الجامع الأزهر بمصر ، أنني رأيت فيما يرى النائم أني قائم تلقاء قبر النبي عليه وآله الصلاة والسلام وعلى القبر الشريف أشياء غريبة لم يرق لي وجودها عليه ، بل ثقلت على قلبي فأقبلت على إزالتها بكلتا يدي مهتماً ، وانتبهت من نومي وإنني لفي هذه الإزالة ، فقصصت هذه الرؤيا على أحد علماء الأزهر العاملين بعلمهم فقال لي : إنك ستدفع عن هذا الإسلام أموراً ليست منه ، وإنني لأحمد الله على هذا التوفيق الى احقاق الحق وإزهاق الباطل بلسان الدين ويراع العلم . اهـ .

الدليل العلمي سواء كان نقلياً أو عقلياً هو سلاحه الوحيد في كل ردوده وتمحيصاته فلم يؤثر عنه في كل ما كتب انحراف عن هذا النهج ولو شيئاً يسيراً قال رحمه الله تعالى : النقد العلمي النزيه شأن السلف الصالح من صحابة وتابعين وتابعيهم ، فقد كانوا يختلفون في الفرعيات العملية في حب وإخلاص ، وإنا إن شاء الله على هذا النحو سائرون . اهـ . ولهذا لم يلجأ للرد على خصومه في الفكرة الى التشهير بهم وتتبع عوراتهم ومثالبهم الشخصية ، وكان ينهى عن ذلك ويعجب من انحدار بعض العلماء الى هذا الاسلوب . بل إن الحق يدفعه أحياناً الى بيان ما يجد من محاسن ومآثر

عند خصومه ولنستمع إليه وهو يبيّن محاسن كتاب انتقد أفكاره العلمية : طالعت الكتاب فإذا فيه الكثير الطيب المعجب الذي يملأ القلب سروراً والصدر انشراحاً ، بمبانيه البديعة ، ومعانيه الرفيعة ، وجودة الأداء ، ووفرة الإطلاع ، وحسن الإقناع ، وقد كانت تغمرني أمواج من الفرح حين استغرق في مطالعة بعض بحوثه ، حتى أنه لو كان أمامي لقمت إليه وقبلت رأسه إعجاباً بهذا العلم ، وإكباراً لهذا العرض ، والتذاذاً بهذا الينبوع الثر من البيان العذب ، وقديماً قبّل عبد الله بن المبارك رأس الإمام سفيان الثوري رحمهم الله تعالى . وحبذا لو دام على السنن المعتدل في كل فصول الكتاب لئلا يرتفع صوت حق بنقد ، ولا يجري قلم صدق باعتراض . اهـ

وصوت الحق يا سيدي صوتك وقلم الصدق يا سيدي قلمك .

ولقد دفعته نزاهته العلمية رحمه الله تعالى الى إغفال أسماء من رد عليهم بين سبب ذلك فقال رحمه الله تعالى : فقد التزمت في هذه الردود اغفال أسماء من رددت عليهم في الصحف والمجلات لأمرين اثنين :

أولهما : هو أن القصد من الكتابة كان لتمحيص الحق مجرداً وتخليصه من الأخطاء إن شاء الله تعالى لا للتنكيل بالأشخاص والتشهير بهم وإني لأربأ بالعلم الديني أن يتخذه صاحبه أداة طعن في المخطئين لمحض التشفي منهم لحزازة نفسية وحقد ذاتي .

ثانيهما : هو أن رحمة الله سبحانه وتعالى قد تدركهم كلاً أو بعضاً فيتوبوا من الضلال ويثوبوا الى الصواب . وكم أدركت رحمته سبحانه وتعالى من ضالين فاهتدوا ومن شاردين فأوقفهم على بابه الكريم ، وإنه تبارك اسمه وتعالى جده أرحم الراحمين وخير الغافرين يهدي لنوره من يشاء . اهـ ردود .

وإن أكثر الذين ردّ عليهم ثابوا الى الحق وتابوا من الضلال ، هداهم الله سبحانه وتعالى ببركة إخلاصه رحمه الله وقوة دليله ، وأرسل الكثير منهم إليه بذلك ، وكم كان يفرح رحمه الله عندما يقرأ رسائلهم ويطمئن الى هدايتهم وإرشادهم . ويطالب الذين انتشرت أخطاؤهم أن يعلنوا رجوعهم عنها حتى لا يبقى أحد متأثراً بفكرة خاطئة أو منحرفاً عن نهج الحق وطريق الرشاد .

**الاستفتاءات الشرعية**

لم يكن رحمه الله تعالى مفتياً رسمياً ولكنه كان ذلك واقعاً وفعلاً .

ليس لأهل بلده وقطره فحسب وإنما لكل بلاد الإسلام وللمسلمين خارج بلاد الإسلام من مغتربين وطلاب علم . وقل أن يمر عليه يوم إلا والبريد يحمل إليه العديد من الرسائل المترعة بالأسئلة الشرعية والاستفتاءات العلمية . وأسباب تكاثر الأسئلة الشرعية عليه دون غيره من العلماء تعود في رأيي الى ما يلي :

١ً ـ ثقة الناس في شتى البلاد بعلمه رحمه الله تعالى ومرد هذه الثقة الى خصلتين يمتاز بهما رحمه الله تعالى هما : الأمانة العلمية . والتحقيق العلمي المؤيد بالدليل والبرهان .

أما الأمانة العلمية فما رأيت نظيراً لها عند غيره رحمه الله تعالى ، يظهر ذلك في النقول العلمية التي يؤيد بها آراءه ويستشهد بها في مقالاته ، فكل نقل علمي لابد أن يعزوه الى صاحبه مبيناً بدايته ونهايته حريصاً على كل حرف من حروفه ، فلا بدّ قبل كل نقل من ذكر مصدره وصاحبه وبعده لابد من كلمة ( إنتهى ) أو رمزها ( ا هـ ) . وإذا اضطر الى التصرف ببعضه تقديماً وتأخيراً لابد أن يذكر في نهايته : ا هـ بتصرف قليل : إذا كان قليلاً ، و ا هـ بتصرف ، إذ اكان كثيراً ، وإذا اختصر بعضه : اهـ باختصار .

ولما عرضت عليه رحمه الله كتاب إرشاد الناس الى أحكام الحيض والنفاس . أخذ عليّ قلة عزو المقولات الى أصحابها ، فقد كنت أعزوها جملة في أول البحث وآخره لأن عامة الناس غير معتادين على ذلك في هذا العصر ، واضطرني رحمه الله الى عزو كل نقل الى صاحبه وبيان مصدره مهما تكرر اسم الكتاب والكاتب . وكان يقول : الأمانة العلمية تقتضي هذا .

وتظهر أمانته العلمية أيضاً في عرضه لمختلف الآراء في القضية الواحدة ثم يختار بعد ذلك الرأي المؤيد بالدليل والبرهان .

أما التحقيق العلمي ، فيظهر في مقارنته للأدلة المختلفة وتمحيصه للروايات المتعددة ورده الفروع الى الأصول وتمييزه بين الصحيح والسقيم والقوي والضعيف . ولقد كان رحمه الله مشغوفاً بالتحقيقات العلمية الدقيقة، يحمله شغفه أحياناً على الاستمرار في درس الفقه الصباحي الخاص عدة ساعات لا يوقفه عنه أحياناً إلا شفقته على تلاميذه من التعب والإرهاق . وحتى عندما يخرج الى النزهة ما كان ينقطع عن المذاكرة في المسائل العلمية ويتمنى أن تسير معه كتبه أنى سار وأن تكون معه حيثما كان .

ولقد أكسبته دراسة الفقه الاستدلالي تمرساً في التحقيق ودقة في التدقيق وكان يردد رحمه الله دائماً كلمة سمعها من أحد علماء مصر العاملين

كتبنا هذه تعلم الجدل . ولم يكن الباعث له على ذلك ترفاً عقلياً وإنما دفعه إليه حرصه على التعرف على أحكام الله فيما يجد من الحوادث وسبيل ذلك كما نقلت عنه في بحث الفقه النظر في فروع الفقه وقواعده الكلية فإنه كما قال رحمه الله كفيل بتعريفنا بحكم الجديد من الحوادث .

٢ ـ حرصه على إجابة أي سؤال يرد إليه مهما كان مصدره ، ومن أجل ذلك أتعب نفسه وإرهق جسمه ، فما اعتذر عن جواب ولا رد سؤالا حتى بعد أن أعياه المرض وألزمته العلة الفراش كان يستحلف أهله ومحبيه ألا يكتموا عنه رسالة ولا يعتذروا لسائل عن جواب . وكلما ألح عليه أحد أن يرحم نفسه ويشفق على جسمه كان يجيبه : لا طاقة لي بلجام من نار ، رد الكتاب كرد السلام ، حتى بطاقات التهاني في الأعياد كان يرد على أصحابها ، وما أكثرها ! تنهال عليه من معظم أقطار الإسلام وكان يقول : إنني لم أبدأ أحداً ببطاقة تهنئة ومع ذلك فإن الناس لا يرحمونني ، الناس يجدون الراحة في الأعياد وأعيادي تعب وإرهاق ، وكنت أقول له : ياسيدي لو اتخذت بطاقة مطبُوعة موحدة توفر عليك عناء كتابة جواب لكل إنسان . فيقول رحمه الله : إن لكل انسان لغة خاصة يخاطب بها ، إن أحد الأدباء يرسل إلي في كل عيد يهنئني بأربعة أبيات شعرية وعليّ أن أجيبه عليها بأربعة أبيات توافقها في الوزن والقافية .

٣ ـ ما كان رحمه الله يكتفي بأجوبته الشرعية ببيان الأحكام فقط وإنما كان يذكر معها أدلتها وبراهينها ، لأنه أدرك رحمه الله تعالى أن غالبية الناس في هذا العصر لا تقتنع بالحكم المجرد عن دليله وبرهانه . ولهذا كان يعتني كثيراً بفقه الدليل ويدعو العلماء للعناية به ومدارسته وتدريسه .

لهذا كله انهالت عليه الأسئلة من كل مكان ورد على أصحابها كلهم رحمه الله تعالى ، وكان للجهد الهائل الذي بذله في هذا السبيل الى جانب أعماله العلمية والاجتماعية الأخرى أكبر الأثر في تنشيط العلة في كبده كما قال لي بعض الأطباء ، فسقط رحمه الله سقوط المجاهد في ساحة المعركة بين كتبه وأوراقه ورسائله ، شهيد العلم شهيد الحق .

رحمك الله يا سيدي ، وأسأله تعالى أن ينور قبرك كما نور قلبك وأن ينفعنا بك بعد موتك كما نفعنا بك في حياتك وأن يثبتنا على طريقك . آمين .

# أشجان ... في رحلة الوداع الأخير

بقلم : عبد القادر حداد

« أرفع هذه الأبيات ، رثاءً لفضيلة أستاذنا الشيخ محمد الحامد رحمه الله ، وأنا أعلم تماماً ، أنه لم تكن ترضيه كلمة الثناء ، وإنما يعمل خالصاً لوجه الله ، وينتظر الأجر والثواب منه ، ولكن الوفاء يملي علينا ، فنكتب ، اعترافاً بالفضل لأهله ، وأداءً لواجب التلمذة ، وحقوق الأستاذية » .

شَجَنٌ هاج لي فؤاداً شَجِيّا
ودموعٌ ، أَظْهَرْنَ شَجْواً خفِيّا
خَطَراتٌ ، وأَصبح الحَدْس حقا
واقعاً ، والظنون أَمراً جَلِيا
خانني الصبرُ يومَ قِيل دعا الدا -
عي إليه إمامَنا المَفْدِيا
وأَتى نَعْيُه فكذَّبتُ عينَيَّ
وسمعي وما وَعَيْتُ النعِيّا
ثم أَيقنتُ أَنه قُضي الأَمْ
رُ وقد كان أَمْرُه مَقْضِيا

أَيُّ خطبٍ أَلَمَّ يا سيدي ! ! إِنَّا
إِلى الله راجعون ، مُضيّا
وَدَّعونا فـأَوْدعوا حسَراتٍ
وجَوىً مُحرِقاً ودمعاً سخيا
رحلوا والْفؤادُ بَعْدُ مَشُوقٌ
لم يُصافِ الحقوقَ خِلاًّ صَفِيا
إِنَّ دُنيا خلتْ منَ الحامد المَحْ
مُود مَذمومةٌ وتُشْجي الخليا
أَسفٌ يترك المآقيَ تنهلُّ
وحُزنٌ أَقام دهراً مَليّا[1]
فأَقيمي على التوجُّع يا نَفْ
سُ فما عاد بهجةُ النفس حيا
حكمةُ الخالق المقدِّرِ أَمراً
جلَّ ربّاً مُقدِّراً أَزليا
أَيها السائرون بالشيخ لِلْقَبْ
رِ ، رُويداً ، فقد حَمَلْتم سَرِيا

١ ــ يقال : انتظرته ملياً من الدهر ، أي زماناً طويلاً ( محيط المحيط للبستاني ج ٢ ــ ملي ) .

خفِّفوا السيْرَ قـد تُزَوِّدُنا ٱلْعَيْـ
ـنُ بذكرىٰ تبيتُ في جانِحَيـا
قد رفعتم على الأُكُفِّ وَليـا
ذاكراً شاكراً ، نقيًّا تقِيـا
زاخـرَ النفس بالمحبة والإخـ
ـلاصِ يدعو لربـه ، صُوفيـا
تَمَّ خَلْقـاً كأنه الشُّهْدُ قد ذَوَّ
بَ فيـه الندى رُحيقاً نديّا
وَصفا كالزُّلال يعذُبُ في ٱلْقلْـ
ـبِ ويَسقي النفوسَ كأساً رَوِيّا
خُلُقاً رائقـاً ، وخَلْقاً رقيقاً
وهُدىً مُشْرقاً ، ورُوحاً أَبيـا
وفؤاداً تَجَمَّعتْ فيـه أَشْتـا
تُ فُضُولٍ ، فكان خَلْقاً سَوِيا
وثباتـاً على ٱلْعقيـدة أعطى
مُهجـةً حرة وأَنفـاً حَمِيا

عاش صُلْبـــاً في الحق ذكَّرَنا ٱلعزْ
بنَ عبـــدِ السلامِ شكلاً جَليـا
جـــددَ ٱلعهدَ بعدما بَلِي ٱلعَهْ
ـدُ وأَهْدىٰ الإِسلامَ ثوباً نَقيـــا
كانَ في ظُلمة الشدائد تنصَبُّ
علينا ، يلُوحُ صُبحـــاً وَضِيا
يرفع الحَيْفَ يكشِفُ الزَيْفَ لِلنا
سِ ويُبدي لنـــا الهُدى المَطْوِيا
كان في فِعله الصحابيَّ ، والصو
فيَّ ، في الذكرِ ، والهدىٰ أَشْعَريا
عاشَ طولَ الحيـــاةِ يعمل للأُخـ
ـرىٰ فلمـــا أَتى النداء ، تَهيّـا
هاتِفـــاً من عُلا السمٰوات يَدْعو
هُ كريمٌ ، فجاءَ طَلْقَ المُحَيـــا
لم تَزَلْ مِسحـــةُ المهـــابَةِ تعلُو
هُ وما زَالَ في المَهاتِ بهيـا

أَيهـا ٱلقبرُ لو علمتَ من الآ
تيكَ لاقَيْتَهُ ضحوكاً خفِيا
جاءكَ ٱليومَ سيدٌ وَهَبَ الحقَّ
شبـاباً نَضْراً وطَبْعـاً قويا
أَتعَبَتْهُ الحيـاةُ والنـاسُ حتى
عـاد ثوبُ الشباب رَثاً بليا
كانَ والحزنَ توأَمَيْنِ قديمـاً
عرَفَ الحزنُ صـبرَه ٱلفِطريا
همُّه المسلمونَ في الشرق وٱلغر
ب وللدِّينِ دانِيـاً أَو قَصِيا
جاهَدَ ٱلكفرَ والطواغيتَ ثَبْتـاً
يومَ كانَ الجهادُ عِبْئاً عتيـا
دحر الذلَ والضلال بفِكْرٍ
ولَوَى شِرَّةَ الأَباطِيل لَيّـا
غَرسَ الهدْيَ في النفوس فأَعطى
أُمـةً حرةً وشَعْباً أَبيـا

فترفَّقْ إذا تَوَسَّـــدَكَ الجِسْـ
ـمُ فقـد فارق الحيـــاةَ رَذِيا[٢]
ما تُراني أَقولُ فيك وأَنت الْـ
ـفائقُ المحسنينَ نَشْراً وطَيـــا
خرج النـــاسُ يومَ نَعْيِكَ أَفْوا
جـــاً يَمُرُّ النَّدِيُّ يتلو النَّـــدِيا
وعلى المسجدِ الحزينِ اكتِئـــابٌ
غيَّضَ الحزنُ بِشرَه الدُّرِّيا
وعلى الأَرضِ عَـــبْرةٌ ! أَتُراها
شَعَرَتْ بالأَسى شُعوراً خفيـــا
وعيونُ السماءِ والنـــاسِ فاضَتْ
مَدْمَعـــاً ساخِناً وغَيْثاً رخيـا
لَهْفَ نفسي عليكَ أَنْزلكَ الرَّحْـ
ـمٰنُ في ساحِـــهِ المَقامَ الْعليـــا

٢ ــ الرذي : من أثقله المرض . ( محيط المحيط ج ١ ، رذي ) .

منزلٌ خصَّكَ ٱلكريمُ بسُكْنَـــا
هُ فيـــا طيبَه ظَليلاً هَنيـــا
وسَّدُوك الثرى ! ! فَوَاعَجَبي أَنْ
تَحْوِيَ الأَرضُ بحرَنا اللُّجِّيـــا
فقدتْكَ ٱلعـــلومُ وٱلبحثُ والتَّدْ
قيقُ فِكراً مُنَظَّمـــاً عَبْقريا
من جنى غرسِك المبارَكِ أَشْبـــا
لُ هُدىً ، فاقَتِ ٱلغِراسَ الجَنِيا
يُعرَفُ ٱلعـامِلونَ بالأَثَرِ الطيِّـ
ـبِ يبقَى - على الزمان - طريا
مثلمـــا تُعرف الرياضُ إذا ما
نفحتْ عاطراً وأَذْكَتْ زكيـــا
« فردودٌ على أَباطيلِ قـــومٍ »
أَزْهقتْ باطلاً وعَرَّتْ دعيـــا[٣]
تدمَغُ المدَّعي بحُجتـــك ٱلبَيْـ
ـضاءِ حتى يعودَ صِفْراً قِميـــا

٣ ــ « ردود على أباطيل » اسم كتاب للشيخ رحمه الله أجاب فيه على أسئلة حيوية ، وكشف عن أوهام وأباطيل وشكوك كثيرة بوضـــوح وجلاء وعلم .

إنَّ في قولِك ٱلْكريم لَسِحْراً
صادقَ النَّبْرِ صافياً عربيا
إذْ على كل لفظةٍ نَبَضاتٌ
تُشعِرُ النفسَ بالبيانِ نديا
منطقٌ ساحرٌ وحس وشعْرٌ
فُقْتَ فيه الحبيبَ وٱلْبحتريا[٤]
رضيَ الله عنك يا طالما عِشْ
تَ كَفافاً وكنتَ منه رضيا
بُورِكَ ٱلْيُتْمُ كم يُخرِّج فكراً
ثاقبَ الرأْيِ أَو فؤاداً ذكيا
وقديماً ، عاش الرسول يتيماً
وهدىٰ الناس مَنهجاً قدسيا
يا سميَّ النبي ! حسبُك فخراً
أَنْ ترسَّمتَ في خُطاكَ النَّبيا
قد أَطعتُ الوفاءَ فيك فأَرْسَلْ
تُ دموعي وكان دمعي عصيا

٤ ــ حبيب بن أوس ، اسم الشاعر أبي تمام الحقيقي .

وأَهبْتُ ٱلفؤادَ أَن يحمل ٱلعِبءَ
ويَقْوىٰ ، فلم يَرُدَّ عَلَيّـا
صرتُ في لوعة وحُرقة حزنٍ
أَظْهرَتْهـا الدموعُ في مقلتيا
وحَكَتْ شجـويَ الحمائمُ في الدو
حِ تنـادي فقيدَهـا ٱلقُمْريا
أَخـذَ الرُّزْءُ باقيَ الصبر حـتى
لم يَدَعْ من ثُمـالةِ الصبْرِ شَيا
ربما أَظهر الأَسِيَّـةَ دمـعٌ
وأَرىٰ الدمـعَ يُظهر المخفِيا
وجليلُ المصاب ، فيـه قليلٌ
مَدمعٌ لا يَسُحُّ سَحّـا وَلِيـا
وإِذا كانتِ المصيبـةُ في ٱلعِلْـ
ـمِ فأَحرىٰ بأَنْ أَظَـلَّ جَوِيا
يعظُمُ الخطبُ في ٱلعظيم وقـد تَغْـ
ـلُو الرزايا ، بمن يكون عليـا

عَفْوَ نجواكَ إنْ تأَخَّـــرَ شعري
أَنْ يُداني بيـــانَك الشعريا
فلقد تُذهـــل المصيبة فكراً
لم يكنْ عاجزاً وليس عَيِيّـــا
حبس الرُّزءُ خاطري فتركتُ
ٱلْفكرَ يَرْتادُ أُفْقَـــكَ ٱلْعُـــلْويا
كلّما عـــاده التذكُّرُ ناجـــا
كَ عَسىٰ يَرجِعُ ٱلْبيـــانُ فتيا
فأَتاني ٱلْعجيبُ من كل معـــنى
بعثَ ٱلْفكرَ بي وحضَّ الرَّوِيا(٥)
وإذا فـــاهَ بالمديحِ لســـاني
كنتَ دومـــاً بخاطري مَرْئيا
فأَنا بعضُ من تَـذَوَّقَ كأْســـاً
من سنا هَدْيِك الرشيدِ سنيـــا
لستُ أَرثيك إنمـــا هو بَوْحٌ
من ضمـــيري يَبين في شَفَتَيـــا

٥ ــ الرَّوِي : هو الحرف الذي تروى عليه القصيدة وقد استعملت هنا بمعنى الشعر على سبيل المجاز المرسل والعلاقة فيه جزئية ...

وَهْو دَيْنٌ عليَّ جئتُ أُوَفِّيه
لِمَنْ كان في ٱلعهود وفيا
فسلامُ ٱلبيان يُهدىٰ رقيقاً
ما تغنّى الحادي فأَشْجىٰ المطِيّا
وشدتْ في رياضها ذاتُ طَوْقٍ
لَوَّنَ الوَجْدُ شَدْوَها السحريا
نحمَدُ اللهَ أَنْ هدانا إلى الخير
فقد عِشتَ هادياً مهديا
ورَجائي أَنْ يعفُوَ الله عنا
ما جَنَتْهُ ٱلْيَدانِ ، ذَنْباً زَرِيا
وجَزَاكَ الرَّحْمٰنُ عَنّا جميلاً
خالدَ الذكر غُدوةً وعَشِيا
طابَ مثواك في جِوارِ كريمٍ
فنَمِ الآنَ راضياً مرضيا
وعليكَ السلامُ دُنيا وأُخرى
ومَعَ الحشرِ يَوْمَ تُبْعَثُ حيّا

# العالم العامل

للدكتور حسن هويدي

**قال الله تبارك وتعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين » .**

وهكذا انقضت حياة ذلك العالم العامل والمجاهد الصادق الشيخ محمد الحامد بكتاب معلوم ، وأجل معدود ، « ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون » .

وما كان المؤمن ليستغرب وقوع الموت ، وهو المصير المحتوم الذي اذعن له كافة الأحياء من آمن منهم ومن كفر ، ولكنه يأخذ منه العبرة إذ يتجاهل الكافر ، ويستجلي منه الموعظة حيث يتعامى عنها الفاجر . وان المؤمن لا يسخط على القدر ، ولا يحارب يد المنون تخترم النبيين والصديقين لأن الذي قضى الأمر هو رب العالمين ، وأمر الخالق مقدم على أمر المخلوقين ، وأنى يجادل المخلوق خالقه ، أو يغالب العبد سيده ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » بينما تجد الكافر والفاجر يسخط ويضجر ويغضب وينكر ، حيث لا يجديه سخطه وضجره إلا بلاءً فوق البلاء ، ووبالاً فوق الوبال .

والمؤمن يحزن على الراحل وفاءً بحق الاخوة والعلم والتقوى ، وافتقاداً للخلال الحميدة والمثل الرفيعة ، وانسجاماً مع فطرة النفس البشرية التي تحزن وتطرب ، وترضى وتسخط ، وترغب وترهب ، ولكنها تضع كل أمر في موضعه . بينما يجزع الفاجر جزعاً منكراً ينحط به عن مستوى الرجال ، أو يخون عهد المودة ، فلا يحزن ولا يأسى كأن لم تكن بينه وبين صاحبه مودة ، وأنى له أن يصون العهد أو يحفظ المودة في ظهر الغيب ، وهو الذي لم يَرُضْ نفسه على ذلك من قبل علماً ولا عملا ؟! وثمة يظهر الفرق جلياً بين المؤمن والكافر والتقى والفاجر ، فالمؤمن جار على سنن الاعتدال ، سليم

من الإفراط والتفريط ، قائم بالحق الذي عليه . والكافر الفاجر يخبط على غير هدى ، ويسير الى غير هدف ، يروغ يميناً وشمالاً فلا يسلم من شطط الإفراط ولا من مغبة التفريط ، ويضن بالجهد وفاءً بالحق الذي عليه . **أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم** » .

ان فقد الأحباب فاجعة أليمة ، ولكن فقد العلماء أشد ألماً وأبلغ أثراً ! وان فقد العلماء كارثة مريرة ، ولكن فقد العلماء الاتقياء أشد مرارة وانكى خسارة ! وان فقد الاتقياء نذير سوء في الأمة ، ولكن فقد الاتقياء المجاهدين أسوأ انذاراً وأشد إضرارا ! نعم لقد كان الشيخ محمد الحامد رحمه الله العالم العامل ، والورع الصادق ، والمجاهد المناضل ، وقلّ أن تجتمع هذه المفاخر في رجل واحد !

إننا نجد العالم ولا نجد التقي .

ونجد التقي ولا نجد العالم .

ونجد العالم التقي ، ولا نجد المجاهد .

ولكننا نجد في الشيخ محمد الحامد رحمه الله العالم التقي المجاهد ! تلك الصفات الثلاث ، التي يفتقر اليها المسلمون في هذا العصر ، هي أمهات المجد ، ودعائم النصر ، وأسس البناء ، العلم يحدد الهدف ويضيء الطريق ، والتقوى تهب الأمانة وتمنع من الخيانة ، والجهاد يحدو الركب ويسير بالقافلة .

وليت شعري ماذا يجدي النور ، إن لم يؤمن الطريق ، وما فائدة الأمانة ان لم تسر القافلة ، فثمرة هذه الخصال الثلاث ، في اجتماعها وتضافرها ، ولا اختلافها وتنافرها ، وبغيرها مجتمعة ، لا تنهض أمة ، ولا تجتمع كلمة ، ولا تشرق حضارة ! وتلك هي مصيبتنا اليوم ، ذكرتنا بها وفاة ذلك النبراس اللامع ، والعلم الجامع ، فإنا لله وانا اليه راجعون .

إن الحزن على الأفراد يذكرنا بالحزن على المجتمع ، ذلك أن الموت انواع والأموات أصناف :

ليس من مات فاستراح بميت  إنما الميت ميت الأحياء !

ان المصائب جمّة ، والجراح بليغة ، والقلب يملؤه الأسى ، واليد شلاء ، واللسان معتقل !

إن مآثر الأفراد مهما جلّت ، لا تظهر اثناء حياتهم ظهورها بعد مماتهم، كالماء يسقي الزرع ، لا يظهر اثره حين سقيه ظهوره حين فقده ، وهكذا يكون الصالحون في الأمة مصابيح للهداية ، وينابيع للسقاية ، فإذا فقدوا ، افتقدت آثارهم الطيبة ، وظهر الفراغ المحزن في مجتمع قل أن يخلف فيه الأحياء الأموات ، وفي مثل هذا يقول الشاعر ، وما أصدق قوله في العلامة الفقيد رحمه الله :

سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم  وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر !

لقد كان رحمه الله علماً من أعلام الفقه في العصر الحاضر ، ينام ويستيقظ بين الكتب ، ويمسي ويصبح مع الدروس ، ويعيش غالب وقته للناس . وكان مضرب المثل في الورع ، حتى راح بعض الناس لا يقرونه على شدة يأخذ بها نفسه ، وحيطة تعلقت بها همته . ولقد أسبغ عليه ذلك الورع رداء المهابة ، وجلباب القوة ، فكانت له صولة ترهب ومكانة تعجب ، أذعن لها الأصحاب والخصوم على قلة الخصوم ، كل ذلك الى جانب وداعة عذبة ، وتواضع جم ، وانكسار بين يدي الله عميق .

ولقد ذكرني هذا النهج الرفيع من التقوى قول الله تبارك وتعالى « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون » . قال ابن كثير في تفسيره حول هذه الآية الكريمة : أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء وهذا من باب الإشفاق والاحتياط . ثم ساق الحديث الذي رواه الامام أحمد مسنده الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت « يا رسول الله ، الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال لا يا بنت الصديق ولكن الذي يصلي ويصوم ويخاف الله عز وجل » .

ولقد أثمرت هذه التقوى خير الثمرات في كل ما أقدم عليه الشيخ من جلائل الأعمال ، فكانت لا ترد له كلمة ، ولا تستعصي عليه معضلة ، ولا ريب أن من خشي الله خشيه الناس ، ومن اتقى الله ذللت له الصعاب وكان الله معه حيثما توجه وسار « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وكان رحمه الله وأجزل مثوبته مجاهداً مكافحاً لا يني ولا يكل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خصلة تحلى بها ، وسجية امتاز بها عن

كثير من الأقران ، حتى كان الأمر والنهي جزء من ذاته لا يزايله فهو واعظ مرشد ، آمر ناه ، في مجلسه وممشاه ، وسفره وحضره ، ومع أقرانه وطلابه ، والأقارب والأباعد لا يتساهل في النزر اليسير ، ولا يفوته الوقت القصير ، لا يتهاود ولا يتهاون ، ولا تأخذه في الله لومة لائم . دأبه في ذلك مع الحاكم كما هو مع الرعية ، ومع القوي كما هو مع الضعيف ، ومع الغني كما هو مع الفقير ، ولله دره إذا غضب الله ، ترى التقوى تنطق بين عينيه ، والقوة بالله ملء جنبيه ، لاينفك عن غضبه حتى يرجع بغرضه !

وهكذا تكون الرجال في رد المنكرات ومقارعة الآفات المهلكات، وماخسر المسلمون وانحسر مجدهم وسلطانهم ، الا حينما ضعفت في قلوبهم هذه الصولة ، وانطفأت في صدورهم هذه الجذوة ، وحلت محلها الرغبة والرهبة، والرياء والنفاق ، الا من رحم الله من طائفة ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي وعد الله .

أيها المسلمون ، ان العبرة العظيمة من موت ذلك العالم العامل ، والمجاهد الصادق ، أن نقتدي به علماً وعملاً ، وجهاداً واقداماً ، ونصحاً وارشاداً ، في زمن يفتقر فيه الناس الى الاخلاص والاقدام أشد افتقار . والعبرة الاخرى من وداع ذلك الراحل العزيز على القلوب ، الحبيب الى النفوس ، هي آثاره الباقية في المجتمع ، متمثلة بورثته الصادقين ، وطلابه النابغين لا سيما ولده الشيخ محمود حفظه الله وزاده من فضله ، وجعله لحماة وسورية ، خير خلف لخير سلف ، وخصه بما خص به والده من نجر نقي وعرق زكي .

رحم الله استاذنا الحبيب ، وشيخنا الكبير ، وأجزل مثوبته ، ورفع في الصالحين درجته ، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء بما كافح وناضل ، ونصح وأرشد ، وجعل منه نبراسا يحتذى ، وقدوة يقتدى بها ، وحشره في زمرة عباده الصالحين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

# ضيف الحضارة

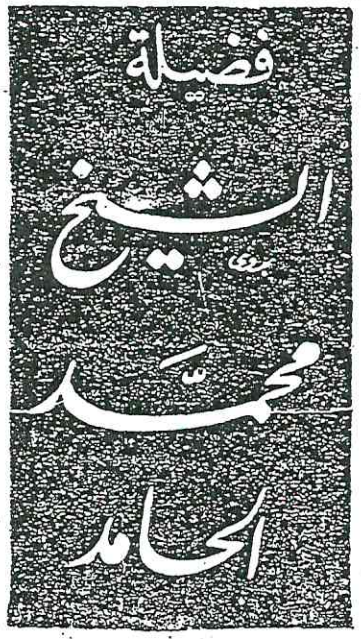


كانت مجلة « حضارة الاسلام » قد سعدت في العدد الخامس من السنة السادسة بلقاء كريم مع العلامة المجاهد ، فضيلة الشيخ محمد الحامد رحمه الله ، ووجهت اليه بعض الأسئلة ، وعلى تعب جسمه ، وكثرة شواغله في التأليف ، والتدريس ، والخطابة ، والتوجيه ، أجاب ـ حفظه الله مشكوراً ـ عن الأسئلة بما عهد عنه من أمانة ووضوح .

وترى المجلة اليوم أن تعيد نشر هذه المقابلة في هذا العدد الخاص عن حياته رحمه الله ليرى القراء هذا الرجل الكبير يترجم نفسه بنفسه في إجابته عن تلك الأسئلة وفي ذلك ما فيه من الدقة العلمية وسلامة الطريق الى معرفة رجل وضعه الله في مكان القدوة والتأسي للعلماء والعاملين في حقل دعوة الاسلام .

**التحرير**

**قال الأستاذ الحامد :**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه .

أجوبة لأسئلة توجهت بها الي مجلة حضارة الاسلام :

**س ١ ــ سئلت عن دراستي وتكويني العلمي ؟**

ج ١ ــ نشأت فقيراً يتيم الأبوين فكان المفروض في مثلي أن يتجه الى عمل يعود عليه بما يقوم بأوده ، لكن همة المرحوم أخي الشاعر المشهور بدر الدين الحامد أبت عليه الا أن يوجهني في طريق العلم والمعرفة على ما كان يعاني من فقر شديد وحاجة ملحة . وبعد ان اجتزت مرحلة التعليم الابتدائي التحقت بالمسلك الشرعي فانتسبت الى دار العلوم الشرعية في حماه وبعد تخرجي منها رحلت الى حلب فانتسبت فيها الى المدرسة الخسروية الشرعية وانها لأرقى من مدرسة حماه الشرعية وفيها علماء أجلاء فطاحل محققون تشد الرجال اليهم ويؤخذ العلم عنهم ويؤتسى بهم في الدين والخلق . منهم الاستاذ الشيخ أحمد الزرقا الفقيه الجليل الذي لم أجلس الى أفقه منه حتى المشايخ الذين تلقيت عنهم في مصر من بعد ، بلل الله ثراه وأغدق عليه شآبيب رحمته كان يتفجر علماً ويتفتح تحقيقاً ويجري معرفة كالوادي اذا سال ولكأن الفقه كان أمامه يأخذ منه ما يشاء ويترك ما يشاء ، وأشهد أنه كان وقافاً عند حدود الله في بياناته العلمية فان عرض له إشكال طلب الينا أن نكتبه له ثم يضعه في ثنايا عمامته ويأتينا في الغد بالقول الفصل وكان يقول : العلم أمانة . وهذا الاستاذ الكبير أحد الذين تأثرت بهم من الناحية العلمية .

هذا الى تأديب لنا منه معشر طلابه وأخذه إيانا باحترام الأئمة والعلماء حتى من غير الحنفية ولا أزال أذكر قوله في حلقة الدرس ، إني أتصور الامام الشافعي رحمه الله تعالى جبلا من علم .

وقد كان رحمه الله تعالى ذا هيبة عظيمة وشيخوخة نيرة ولكنك اذا خالطته لمست فيه نفسا طيبة متواضعة يمزج تقريراته العلمية بمزح لطيف ومداعبات حلوة ، ولم يكن من أهل الشطح والكبر الذين ينكرون فضل الفضلاء السابقين بل كان يتهم نفسه ويقول : لقد استرحنا من حيث تعب الكرام . مع أنه كان في تلقيه عن والده الجليل الاستاذ الشيخ محمد الزرقا رحمه الله تعالى ، تمر به سنون لا ينام الليل ويطالع نحوا من عشرين كتابا علميا فقهيا على الكتاب الذي كان يتلقاه عن والده ، وكان يرجع الى الكتب التي نقل عنها المحقق الشيخ ابن عابدين في حاشيته الشهيرة التي سماها ( رد المحتار ) ــ كان يرجع اليها فيجده واهما في بعض النقول . أخبرنا بهذا عن نفسه .

وهناك غيره في المدرسة أفذاذ فضلاء كالشيخ أحمد الكردي مفتي الحنفية في حلب والشيخ عيسى البيانوني والشيخ ابراهيم السلقيني العالم العامل والتقى الورع ، والشيخ محمد الناشد ، والشيخ راغب الطباخ ،

والشيخ أحمد الشماع ، والشيخ عبد المعطي الواسع المعرفة في فقه المواريث، والشيخ فيض الله الايوبي الكردي المحقق العظيم في علمي التوحيد والمنطق ، والشيخ محمد أسعد العبجي مفتي الشافعية حاليا في حلب وهو والشيخ عبد الله حماد الباقيان في قيد الحياة من مشايخي جزاهم الله خير الجزاء وبارك عليهم أحياء وأمواتا .

وبعد أن أنهيت الدراسة في حلب عدت الى بلدتي حماة ولزمت فيها الدراسة العلمية مع زملاء لي وكنت أحضر دروس بعض المشايخ الفقهاء فيها . ثم التحقت بكلية الشريعة احدى كليات الجامع الأزهر الشريف ونلت منها الشهادة العالية ثم انتسبت الى قسم التخصص بالقضاء الشرعي منها . وبعد تمام الدراسة نلت شهادة العالمية مع الاجازة في القضاء ولكن لم أشأ أن أكون قاضيا وقد كان القضاء ميسورا لي لو أردته لاني رأيت البقاء في العمل العلمي أروح لروحي وأنفع للأمة فاخترت التدريس في وزارة التربية والتعليم على ما فيه من مشقة ملحوظة .

واني مع هذا دائب الى الان على التدريس الخاص لطلبة العلم الديني صباحا ، وفي المساء ألقي درسا عاما في الناس كل ليلة الا ليلة الجمعة ، كما اني ألقي خطبة الجمعة .

واني أحمد الله تعالى على توفيقه وتيسيره اياي للتوسع العلمي . ووضعه الشغف به في قلبي حتى اني لأوثر العلم على اللذائذ المادية التي يقتتل الناس عليها ، ولو اني خيرت بين الملك والعلم لاخترت العلم على الملك والسلطان وذا من فضل الله علي وعلى الناس .

ولم أكن فيما مضى من ايام دراستي مقتصرا على كتب المناهج الرسمية ، كلا ، بل إني كنت أطالع عديد الكتب من قديم المصنفات و جديدها ولن يسلس العلم قيادة لطالبه الا بنحو هذا لان المناهج الرسمية تعنى بتكوين الشخصية العلمية ، أما ملء الذهن بالمعلومات فطريقة المطالعة الواسعة يحدوها الشوق ويقودها الشغف .

وهنا أحب أن يعرف الناس عني أني غير شديد التعصب لفقه الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وان كنت متمذهبا بمذهبه وقد يصفني بعض الناس بهذا جهلا منهم بحقيقتي التي يعرفني بها المستمعون الى بياناتي . اني أحترم خلاف الأئمة في الفروع الفقهية العملية واقدسهم كلهم أجمعين وقد ورثت هذا عن شيوخي رحمهم الله تعالى ـ لكني أشتد في الاعتقاد فلا أسمح ببدعة تداخل القلب وتواكب السلوك فمذهب أهل الحق هو الذي ارتضيته وأدعو اليه ، وهو الذي يطلبنا الاسلام باصابته عينا فمن تزحزح عنه فقد ضل وهذا الضلال

متفاوت النسبة قربا من الحق وبعدا عنه ، وما لم يأخذ طالب النجاة من عذاب الله نفسه بهذا فليس من الفرقة الناجية المفلحة .

**س ٢ ـ سئلت عن الشخصيات التي تأثرت بها ولها في نفسي مكان الصدارة في العصر الحاضر ؟.**

ج٢ ـ تأثرت بكثير من أساتذتي وشيوخي الذين لهم الفضل الكبير علي كفضيلة خالي الكريم الاستاذ الشيخ محمد سعيد الجابي المدرس العام في حماة رحمه الله تعالى فهو الذي دفعني في سبيل العلم الديني وامرني بحفظ القرآن الكريم واقرأني مبادىء العلوم الدينية .

ومنهم فضيلة استاذي الفقيه الجليل شيخ الشافعية في حماة ورئيس جمعية العلماء فيها الشيخ محمد توفيق الصباغ أدام الله توفيقه وجزاه عني وعن زملائي طلابه خيرا . كان مديرا لدار العلوم الشرعية وكان يبذل جهدا كبيرا في تثقيفنا وتعليمنا ويحنو علينا حنو الوالد الرحيم على صغاره . أسأل الله له طول البقاء في توفيق وصلاح .

ومنهم سماحة الاستاذ الجليل الشيخ محمد سعيد النعساني مفتي حماة ذو الباع الطويل في العلوم والمعارف فقد كان له مع فضل التعليم فضل رفع الهمة الى معالي الامور والترفع عن سفاسفها وما يزال أسعده الله في قيد الحياة قد جاوز المائة من العمر ونزل به مرض الشيخوخة ولزمته العلة . أسأل الله له العافية .

ومنهم فضيلة عمي والد زوجتي الاستاذ الفقيه الحنفي الحجة العالم العامل ، التقي الورع ، الزاهد في الدنيا ، شمس علماء حماة وبدر شيوخها الشيخ أحمد المراد رحمه الله وبارك عليه ، انه من شيوخي الذين لهم علي فضل التربية والتعليم ، وقد أكرمني الله فجعلني صهرا له علي ابنته وقد كان هذا قبل أن يكون لي مورد رسمي ومنزل آوي اليه ولكنه التوكل على الله سبحانه والايمان به والوثوق بما عنده .

كانت الفتوى في حماة وقراها تدور عليه وترجع اليه فقد كان أمين الافتاء ولم تصدر عنه فتوى غير صحيحة وقد قال فيه سماحة العلامة الجليل مفتي الشام الاستاذ الشيخ محمد شكري الاسطواني رحمه الله تعالى ـ قال فيه : عنه تؤخذ الفتوى .

والذي له في نفسي مكان الصدارة الاولى على الاطلاق والعموم وله فيها بالغ التأثير العميق والشديد معا هو فضيلة سيدي العالم العامل ، والمرشد الكامل ، مربي المريدين ، ومرشد السالكين ، العارف بالله تعالى

الشيخ محمد ابو النصر الحمصي النقشبندي قدس سره . الذي اخذت عنه طريق السادة النقشبندية العلية .

انه الذي اخرجني الله تعالى به من ظلمات الغفلة والقسوة والشرود الى نور الذكر والرقة والوقوف بباب الله سبحانه في ذلة وضراعة لهذا الرب الكريم ، انه الذي ملأني بتوجيهات قلبه الشريف وكم طهرت فيوضاته من اسرار ، وازاحت من اكدار ، واعلت من همم ، وانجت من نقم . كم انقذ من غرقى في بحار الطغيان ، وكم جلا عن القلوب من ران العصيان . وكم ابكى من عيون الناس عيونا ، وكم القى في ضمائرهم سرا مكنونا .

كان من الصديقين الراسخين الذين لهم قوة اشعال جذوة الحال في مريديه على القرب والبعد وقد سمعته يقول : القرب والبعد عندنا واحد . من لم ينفعك بعده لم ينفعك قربه .

وكراماته التي اكرمه الله بها من خوارق العادات كثيرة جدا جدا وان من نيتي جمعها في كتاب ان شاء الله تعالى وفاء بحقه وقياما ببعض واجبه علي ولئن كان مني نفع للامة فهو في صحيفة شيخي مسجل اذ قد انتابتني نائبة روحية ايام دراستي في مصر كادت تشل فكري عن العمل وترميني بكارثة التعطل المقلي فكتبت اليه بما عناني ، فرايت فيما يرى النائم انه مد يده الكريمة الى قلبي وحركة باصابعه الشريفة فاستيقظت وقد ابراني الله من العلة بعد ان حار اخواني المصريون في امري . فان كان خير مني الان للمسلمين فله من ثوابه قسط عظيم وحظ وافر .

توفاه الله تعالى اليه في سحر ليلة الجمعة خامسة ليالي رمضان المبارك سنة ١٣٦٨ هـ وقد انكشف بعد سنة مرت على وفاته حجر من فوقه في عملية حفر ففاحت رائحة زكية من قبره الشريف ورؤي الشيخ قدس سره بحاله التي دفن عليها لم يتغير ولم ينتن . رحمه الله وبارك عليه واعاد علي وعلى المسلمين من بركاته آمين . اني دائب على زيارته ، ودائم على عهده احفظه في ذريته ، وارعاه في اهل خرقته ، وان زيارته تملأ النفس حالا صحيحة وبركة واضحة .

وممن تاثرت بهم ونالتني بركاتهم سيدي الاستاذ العالم العامل الشيخ عيسى البيانوني الحلبي من خلفاء سيدي الشيخ محمد ابو النصر رحمهما الله تعالى . كان رحمه الله تعالى مدرسنا لنا في المدرسة الخسروية الشرعية لعلم التصوف والاخلاق وكان نفعه يسري الى قلوبنا قالا وحالا فتطهر ضمائرنا في درسه وتصفو ارواحنا وكان يضرب المثل الاعلى في التواضع النفسي والانمحاق

الذاتي وتحمل الأذى . وكان من الأدب مع سيدنا قدس الله سره بالمنزلة التي ما كنا نستطيع مداناتها فضلا عن منازلتها ، هذا مع كونه أسن من شيخنا قدس الله سره ، لكن الله سبحانه كشف له عن سر الشيخ قدس سره فرضي بمتابعته وتتلمذ له وأخذ عنه وازداد بهذا فضلا الى فضله ونوراً الى نوره

وكان صادق الحب لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد تراءى له في المنام مرات كثيرة جدا وقد أخذ عليه الشغف به عليه وآله الصلاة والسلام مأخذه فسأل الله أن يموت في المدينة المنورة فأجاب الله دعاءه فقبضه فيها بعد الحج ودفن في البقيع تحت أقدام سيدنا ابراهيم ابن سيدنا رسول الله صلى الله تعالى على أبيه وعليه وعلى القرابة والصحابة . وهذه منقبة عظيمة لسيدي الشيخ عيسى قدس سره .

وممن تأثرت بهم ولهم مكان عال في نفسي سيدي الاستاذ الشيخ ابراهيم الفلاييني قدس سره . كانت بيننا صلة روحية وانه لمن أرباب القلوب وأهل المعرفة بالله سبحانه الى كونه فقيها جليلا يفتي في الحوادث اذ كان مفتيا لمدينة قطنا .

كان رحمه الله يتردد الى حماه في بعض الاحيان وآخر مرة قدم اليها أكرمني الله بنزوله منزلي وحلوله ضيفا كريما علي . لكن العلة كانت قد بلغت به منتهاها أو كادت فلم تطل حياته بعد سفره الى دمشق اذ توفاه الله فيها مبكيا مأسوفا على علمه وعرفانه وهمته العلية . اني أحبه كثيرا لعلمه وحلمه وايقاظه اياي مرة من سنة غفلة ولدتها الحدة الدينية والانكار على من يمالىء الباطل من علماء العصر فكان مني غضب شديد وزمجرة وكان ذا في مجلس ضم عددا من العلماء في دمشق وما كان لي أن أزمجر هذه الزمجرة ولا أن أشتد في غضبي بل كان الدعاء لهم بالصلاح والتوفيق خيرا وأبقى لكني كنت وقتئذ في عرام الشباب وميعته .

فما كان منه قدس سره الا أن تناولني من قلبي من حيث لا أشعر فألقى الله علي ندامة كادت تحرقني بنارها ثم لم يتركني رحمه الله أذهب وحدي بعد انفضاض المجلس فسرت معه وركبنا الترام . الى حيث دعانا انسان يعرفنا الى المبيت عنده وكانت الندامة تشتد معي حتى بلغت أوجها فقال عندئذ : ( ليس الى هذا الحد يامولانا ) فهدأت نفسي واستقرت وكان لها سكون وراحة . رحمه الله تعالى وقدس سره .

**والذي أثر في نفسي تأثيرا من نوع خاص وله يد في تكويني الشخصي سيدي وأخي في الله واستاذي الإمام الشهيد الاستاذ حسن البنا رحمه الله**

وأغدق عليه غيوث الاحسان والكرم .

صحبته في مصر سنين وحديثي عنه لو بسطته لكان طويل الذيل ولكانت كلماته قطعا من قلبي ، وافلاذا من كبدي ، وحرقا من حرارة روحي ، ودموعا منهلة منسجمة تشكل سيلا من فاجع الالم وعظيم اللوعة .

ولكنني أكتفي بالايجاز من الاطناب ، وبالاختصار من التطويل ، وقد بكيته كثيرا بعد استشهاده علي نأي الدار وشط المزار ولا أزال أذكره حتى ألقاه في زمرة الصالحين ان شاء الله تعالى وتبارك .

لي كلمة فيه رحمه الله تعالى ، نشرتها مجلة الشهاب ، وهي — لو استعيدت — تبعث الالم وتثير العاطفة في نفسي بما لا أتماالك معه البكاء بالدموع الحرى السخينة .

**انه أخي قبل إخوتي في النسب ، ولما وافاني نبأ اغتياله قلت ان موت ولدي ، ولم يكن لي غيرهما حينئذ ، أهون علي من وفاة الاستاذ المرشد .**

**وكنت رأيت فيما يرى النائم ليلة قتل ولا علم عندي بالذي حصل — رأيت أننا في معركة مع اليهود وقد بدأ التقهقر في جندنا حتى أني لأمشي منحنيا لئلا يصيبني رصاصهم ، فاستيقظت واستعنت بالله من شر هذه الرؤيا . وفي النهار القى الي بعض الناس الخبر فكان وقعه أشد من شديد وكان تأويل رؤياي .**

**اني أقولها كلمة حرة ولا بأس بروايتها عني — أقول : ان المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين في مجموع الصفات التي تحلى بها وخفقت أعلامها على رأسه الشريف .**

**لا أنكر ارشاد المرشدين ، وعلم العالمين ، ومعرفة العارفين ، وبلاغة الخطباء والكاتبين ، وقيادة القائدين وتدبير المدبرين ، وحنكة السائسين — لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولاحقين لكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمالات قلما ظفر به أحد كالامام الشهيد رحمه الله .**

**لقد عرفه الناس وآمنوا بصدقه وكنت واحدا من هؤلاء العارفين به والذي اقوله فيه قولا جامعاهو انه كان لله بكليته بروحه وجسده ، بقالبه وقلبه ، بتصرفاته وتقلبه ، كان لله فكان الله له واجتباه وجعله من سادات الشهداء الابرار .**

حدثني عالم في مصر كانت له به صلة قال لي : ان الالحاد امتد الى مصر وانتشر فيها وغمر كثيرا من أوساطها ولم يستطع الازهر الشريف

ولا الجمعيات الدينية أن ترد سيله الجارف الهادم حتى جاء حسن البنا فدرأ خطره وأنجى من شره .

قال هذا العالم هذا القول وكنت أرى بعيني توفيق الله لاصحابه وقد كانوا من قبل في ظلمات فأخرجهم منها الى نور .

ان سيدي وأخي الامام الشهيد ذو وفاء في حياته وبعد وفاته فقد تراءى لي في المنام كثيرا في مدى سنين وما أشوقني الى الوقوف على قبره الشريف أناجيه عن قرب كما كنت أناجيه في الحياة .

وهنا أمسك بعنان القلم عن الجري في ميدان القول فان الحديث عن خبيبي طويل مطول وقد خسرناه فما أفدح خسارتنا به نحن معشر المسلمين وانا لله وانا اليه راجعون . اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده وألحقنا به شهداء صالحين آمين .

وقد رأيت فيما يرى رؤيا أني جالس معه في جملة من أصحابنا على مائدة فيها أطباق خبز وأطباق ريحان يؤكل لكنه ريحان من النوع الممتاز . فاستيقظت وذكرت قول الله تعالى : ( فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ) .

**س٣ ـ سئلت عن أبرز الأمور التي كان لها كبير الأثر في حياتي ؟**

ج٣ ـ أبرزها على العموم وقوفي موقف المضاد للالحاد الذي فشا في الجيل الصاعد ، وعملي على رد هؤلاء الشاردين عن الحقيقة اليها رحمة بهم واستخلاصا لهم من مهاوي الشقاء .

أما الثابتون منهم على الاسلام فما أزال دائبا في تغذيتهم بالعلم الواقي والمعرفة الدارئة كي تقوى فيهم ملكة المناعة الايمانية فلا يجد الزيغ سبيلا الى قلوبهم ليفسدها .

وعندي أن تجلية محاسن الاسلام بعرضه عرضا جميلا ، كافية لرد الشاردين وتثبيت المؤمنين ( والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ) .

المواقف التي وقفتها في الذود عن حياض الايمان أكثرت أوليائي وأعدائي جميعا فأنا أعيش في قلوب محببا اليها ، كما ان قلوبا أخرى تبغضني لاني كالحسكة في حلوق أصحابها ( وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ) .

**س٤ ـ سئلت عن طبيعة عملي ، وعن انتاجي العلمي ما صدر من مؤلفاتي وما هو في طريق الصدور ؟**

ج٤ ــ عملي هو أني أدرس الديانة الاسلامية في ثانوية ابن رشد في حماة ، وألقي درسا عاما في المسجد كل ليلة بعد الغروب الا ليلة الجمعة وقد وزعت المواضيع العلمية على الليالي فليلتان لتفسير القرآن الكريم ، وليلة لفقه العبادات ، وليلة لفقه المعاملات ، وليلتان للحديث الشريف .

ولي درس خاص في غرفتي بالمسجد بعد الشروق من كل يوم الا يوم الجمعة . فاني أنصرف فيه الى التفكير في الخطبة التي أنا مطالب بها .

ومن عملي الاجابة الخطية على أسئلة ترد علي من غير حماة بل منها أحيانا وان كان الغالب على الحمويين أن يسألوني شفاها .

ومن عملي المتعب كتابة ردود على ما ينشر من أباطيل وأخطاء أبعث بها الى الصحيفة أو المجلة التي نشرت الخطأ .

أما انتاجي العلمي فالمطبوع منه هو ما يلي :

١ ــ نظرات في كتاب اشتراكية الاسلام .

٢ ــ حكم الاسلام في الغناء .

٣ ــ رحمة الاسلام للنساء .

٤ ــ آدم لم يؤمر باطنا بالأكل من الشجرة .

٥ ــ القول في المسكرات وتحريمها من الناحية الفقهية .

٦ ــ حكم اللحية في الاسلام .

٧ ــ التدارك المعتبر ، لبعض ما في كتاب القضاء والقدر .

٨ ــ بدعة زيادة التنويرات في المساجد ليالي رمضان وغيرها .

٩ ــ ردود على أباطيل .

وهو كتاب ضخم اخترت منه ما يمكن طبعه الآن كجزء أول منه وهو مجموعة رسائل ومقالات بعضها طويل وبعضها متوسط ، ومجموعة أسئلة فقهية وأجوبتها ، وسأقدمه للطبع قريبا ان شاء الله تعالى .

١٠ ــ كتاب في تحريم نكاح المتعة في الاسلام .

وقد أنجزته ثم وجدته في حاجة الى توسعة وسأفعل ذلك ان شاء الله تعالى ثم أنشره في الناس .

**س٥ ــ سئلت عن تنشئة الجيل المسلم وكيف يجب أن تكون ؟**

ج٥ ــ ليس هناك الا تقوية اليقين بالاسلام بالبرهنة على صدق الرسول سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام . ومتى تم هذا للفتى آمن بكل ما جاء عنه بلا توقف ، وسيان لديه عندئذ ظهور الحكمة في المشروعات وخفاؤها .

وهذا لا يمنع من بيان أسرار التشريع وحكمته ليزداد ايمانا الى ايمانه لكن على الاول المعول وهو الطريق السديد الى القلوب فيه تستكين مؤمنةمسلمة منقادة مذعنة .

وأن صحبة الإخيار من العلماء العاملين أصل أصيل في سريان الحال الصالحة الى مصاحبهم فمن جالس جانس والقرآن الكريم ينادي بقوله تعالى **( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين )** .

وحسن جدا افهام الطلاب أن القرآن الكريم لا يتبدل ، والنظريات في تبدل مستمر ، فليكن منا أدب ديني يمنعنا من العبث به من أجلها بتحميله من التأويلات ما لا يحمل وقد زلت أقدام وزلقت الى أعماق الضلال بهذه المحاولات البائرة .

**س٦ ــ سئلت عن رأيي في طريقة ابلاغ الجمهور حقائق الاسلام وأحكام الشريعة ؟**

ج٦ ــ رأيي أن المنابر الدينية والدروس العامة والخاصة تكفي لهذا الابلاغ على أتم وجه اذا كان الخطباء والمدرسون ممتلئين علماً ومعرفة واخلاصا لله سبحانه ، وعملا بما اليه يدعون . ان هؤلاء هم قواد القلوب وحادوها وسائقوها وهم الايدي المصلحة للفساد ، والمقومة للعوج .

يضاف الى هذا نشر العلم عن طريق الكتابة بلغة قريبة من الافهام غير مستعصية عليها بدقة التركيب ووعورة التعبير ليسلك سبيله الى الاذهان ولا يبقى مخبوءاً في بطون الكتب لا يطلع عليه الا أخص الخاصة من المحصلين .

ولا بأس بالمجلات العلمية الدينية شريطة اشراف علماء أجلاء عليها لئلا يطيش السهم بشباب الكاتبين فيخبطوا ويخلطوا ويسيئوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وأن الواجب على علماء الدين ملاحظة شباب المسلمين في هذه الفترة الزاخرة وقاية لهم من الزيغ والانحراف . كما أن الواجب على هؤلاء الاتصال بالعلماء والاخذ عنهم توقيا من الضلال المردي في المهالك .

**س٧ ـ سئلت عن رأيي في تحقيق التربية في البيت وكيف يمكن أن تكون ؟**

ج٧ ـ قال الله تعالى

**( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً )**

وفي الحديث الشريف ( كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ) الى آخر الحديث الشريف .

فليقم الرجل بواجبه في التربية ولتقم المرأة بواجبها أيضا ، وليأخذوا الذرية بالطهارة النفسية والتزكية الروحية والادب الجم والتوجيه الصحيح اذا كان ذلك كذلك كان البيت اسلاميا سليما .

الصلاة الصلاة ، وسوقهم الى المساجد ليشهدوا الخير ودعوة المؤمنين وليستمعوا الى القرآن الكريم والعلم ، وقد أدركنا الناس على هذا قبل أن ينتشر الفساد هذا الانتشار المخيف .

**س٨ ـ سئلت عن الطريق للخلاص من واقع المسلمين في انحرافهم عن الاسلام الذي أنتج ما نرى من فرقة الكلمة واختلاف الاتجاهات ؟**

ج٨ ـ الطريق هو الرجوع الى الاسلام الاول العتيق فعلا وقولا كالذي نرى فقد كثرت الاقوال وقلت الافعال وعظمت الفتنة التي تحدث عنها الحديث الشريف بأنها تدع الحليم حيران كنتيجة لفسق الشبان وطغيان النساء وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورؤية المعروف منكراً والمنكر معروفا والامر بالمنكر والنهي عن المعروف .

الاسلام العتيق الاول يأبى علينا هذا كله وخصوصا تحريف الحقائق الدينية وتكييفها بما يروق للقلوب المريضة والعقول الزائفة ، تكييفا تأباه النصوص اذا أخذت بفهم صحيح من سبيل سليم ، والله تعالى قال : **( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** .

متى نخلص من هذا السوء الذي قلب معالم الحق فعبث بالنصوص والاحكام باسم الاسلام .

القرآن الكريم حجة الله على العالمين ومايزال محفوظا ومقروءاً وفيه قوله تعالى:

**(( فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ))** .

صححوا الافهام ، وعودوا أدراجكم الى السلام بالاسلام .

**( وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم )** .

# حماه ... وعالمها الراحل

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
المدرس في كلية الشريعة بجامعة دمشق

لمدينة حماه في نفسي صورة عزيزة أحفظها لها منذ سنوات طويلة ، صورة متميزة فريدة تختلف عن صور ما قبلها وما بعدها من البلدان المنتشرة على طول ذلك الطريق المتجه الى الشمال .

وما مرة حللت فيها بمدينة حماه زائراً ، أو اجتزت بها مسافراً ، إلا واستقبلتني هذه الصورة على مشارفها تنبهني الى أنني من هذه البلدة أمام طبيعة أخرى غير التي عرفتها من طبائع الناس والبلاد . وما مرة وقع فيها بصري على نواعيرها الصاعدة الهادرة ، إلا ورأيت في وقار مظهرها وانبعاث صوتها حديثاً طويلاً تظل تخاطب به كل داخل ومسافر ، فإذا مارنوت ببصري نحوها أتأمل حديثها أبصرتها تقول :

هنا تربض كبرياء الشرف جنباً الى جنب مع رقة الخلق الاسلامي الرفيع ، هنا تلتقي قوة الثبات على الحق مع كرم المعشر ولطف الحديث . عند مداخل هذه المدينة تعود مرتدة جميع تلك الرياح والعواصف الهوج بما تحمله من نقيع التقاليد الآسنة ووباء الميوعة والانحلال ، فمهما جلت في ميادين هذه البلدة أو سرت في سككها وشوارعها فلن تستنشق من حولك إلا نسيماً عذباً طاهراً يتخطر . لقد زعموا أن عجلة الدهر تنبذ كل قديم وراءها مهما كان نوعه لتستقبل كل جديد أمامها مهما كان نوعه .. أهي عجلة قطار هائج أفلتت من تحته قضبانه وصرع في داخله سائقه ؟!. ربما ... ولكن عجلة الدهر في هذه البلدة إنما تسير على هدي من عقل في داخلها وخارطة مرسومة أمامها . أما أنا فسأظل أدور ههنا حول نفسي في تطواف دائب لا ينقطع ، لأغسل هذه البقعة مما قد يصيبها من وساوس هذا الفكر المتعفن . ربما أبصرني المار هنا فتوهم أنها الطبيعة ، أرادت أن يكون عملي هذا هو العمل المكرر المعاد : أنضح الماء من هنا إلى هناك ، ولكن الحقيقة أن هذه المدينة إنما أرادت لي أن أكون رمزاً للثبات على محور المبدأ ، ليس للانسان أن يجعل حياته إلا مطافاً ثابتاً من حوله ، يعيش من أجله ويموت في فلكه .

★ ★ ★

قلت لصاحبي ذات يوم ، وقد وصلت بنا السيارة إلى مشارف حماه ، وتراءت لنا نواعيرها الذاهبة في جوّ السماء : ويحك ، ألا تسمع الى ما تقوله هدير هذه النواعير ؟.. ألا ترى الى الصورة المتميزة المنبسطة على عرض هذه المدينة وطولها ؟.. ترى ما الذي جعلها تتميز عن غيرها بهذه الصورة ، وما جعل نواعيرها تظل تنشد نشيد الكبرياء ؟!..

قال لي صاحبي : أولم تعلم سرّ ذلك بعد ؟.. أولم تسمع بشيخ هذه البلدة ومرشدها العظيم الشيخ محمد الحامد ؟.. قلت : لم أسمع باسمه قط (١) . قال : فإن الله قد أقام هذا الرجل من هذه المدينة مقام ينبوع من الماء العذب وسط أرض ذات تربة نقية خصبة . فكان من ذلك ما ترى من تحوّل هذه البلدة الى واحة وارفة الأنس والظلال .

قلت : وإنّ في هذه المدينة مثل هذا الشيخ وأنا لا أعرفه بعد ؟!.. وأصررت على أني لن أبارح حماه إلاّ بعد أن أزوره وأتعرف عليه وأشدّ آصرتي به .

وكانت السيارة قد خلّفت معظم معالم المدينة وراءها ، ولم يبق أمامنا منها إلاّ حاشية يسيرة من بيوت متفرقة هنا وهناك . فعادت بنا أدراجها ، وأخذنا نتنقل بين الأزقة حتى وقفنا أمام منزل متواضع وسط أحد تلك الأزقة الضيقة . ولما دخلنا المنزل ، أُذن لنا الى غرفة في أعلى الدار صعدنا إليها على درج ضيق متعرج .

وفي تلك الغرفة المتواضعة أبصرت لأول مرة الشيخ محمد الحامد ، ورحت أسرّح النظر فيه وفي هيئته باحثاً في شخصه عن مكان النبع الذي تحولت به هذه المدينة الى دوحة فينانة وارفة الظلال .

وأخذت أسائل نفسي ــ وأنا أمعن النظر والفكر في مظهره ولحيته الوافرة البيضاء المحيطة بوجهه ــ كيف استطاع هذا الشيخ أن يتسلل الى أفئدة أهل هذه البلدة فيحولها ويقلبها من حال الى حال ؟.. وهل هو في هذا إلاّ كغيره من الشيوخ : لحية وجبة وقامة ؟.. لقد رأيت شيوخاً كثيرين لهم ما له من سيما المظهر والجلال ، فلم يفعلوا بذلك أكثر من أنهم وضعوا بينهم وبين الناس حجاباً من مظاهرهم هذه ، يقف أحدهم من سواد الناس ودهمائهم فوق برج مرتفع بعيد ، حيث ينثر عليهم من هناك صيغ الوعظ والإرشاد ، فليس بينه وبين أولئك الذين ينساحون بعيدين عنهم في

---

(١) كان ذلك في عام ١٩٥٧ وكنت لا أزال في دور الدراسة ، أتنقل بين القاهرة ودمشق ، ولم أكن قد عرفت الاستاذ الشيخ محمد الحامد بعد .

الأرض إلا نسب هذه الكلمات وحدها ، تهبط هي إليهم من عليائها هنـــاك ويتلقونها هم بآذانهم في الأرض ، ثم يعود كل شيء الى ما كان عليه لا يتبدل أي خط لاو يقضى على أي انحراف .

وعدت أتأمل في حال الشيخ ، وهيأت نفسي لسماع قطعة من الموعظـة المحفوظة المكررة ..، ولكني لم اسمع شيئا من ذلك !..

لم يكن حديثه يهبط إلينا من علياء بعيدة ، ولكنه كان يصعد من أغـوار نفس مؤرقة متألمة !.. اخذ يكلمنا عن مشاكل المسلمين في حياتهم والعوائق التي تقف سداً دون رقيهم الاجتماعي ، ثم تحدث عن المدارس والمعاهد والمناهج وما ينبغي أن تكون عليه أوضاع هذه المؤسسات ، وأفاض بعد ذلك في الحديث عن دور الشباب والجيل الناشىء في سبيل إقامة المجتمع الاسلامي المنشود ، وعرض لنا تجاربه الشخصية في هذا الصدد . ثم انتقلنـا الى بعض المسائل والابحاث العلمية ، فاندفع يشرح وينقد ويحلل .. وفوجئت بما لم أكن أتصوره : إنه يقرأ كل جديد يقع تحت يده ، ويطلع على كل فكرة تمر من تحت بصره . ثم هو لا يقرأ شيئاً من ذلك ابتغاء تسلية أو لمجرد اطلاع كما هو شأن معظـم القراء والباحثين ، ولكنه يتناول كل ذلك بفكر الناقد البصير ويضعه تحت مجهر العقيدة التي يعيش لها ، ثم ما هو إلا أن تثوز به أعصابه تدفعه الى ما ينبغي أن يقوم به المسلم تجاه ذلك ، من نقد أو تأييد أو تصحيح مهما كلفه ذلك مـن مشقة وجهد !...

ومضت دقائق ، وأنا أتخيل تناقضاً يتلبّس حال الشيخ ..

إن جلال مظهره ووقار سنّه وهيئته ، لا يتفقان وهذا الخوض في كل هذه الميادين .. ورأيت أن الصورة التي انطبعت طويلا في ذهني تهمس إليّ بأنّ العالم لا ينبغي أن يتجاوز محراب المسجد الذي هو فيه ، إلاّ أن يتحول بوجهه عنه مستديراً الى ما وراءه من صفوف العامة يعظهم ويرشدهم ، ثم ما هو الا أن ينفتل عنهم بعد ذلك ليعود الى تسبيحه وشأنه .

وازدادت صورة هذا التناقض في مخيلتي وضوحاً ، عندما همس إليّ صاحبي الذي كان الى جانبي ، بأن الشيخ مدرس في المدارس الثانوية العامـة وأنه يمضي شطراً كبيراً من وقته بين صفوف الطلاب !..

وإني لأذكر الساعة جيداً كيف أخذت أحملق بعينيّ في مظهره وروعـة لحيته ووقار شكله ، دون أن يسعفني الخيال بالقدرة على تصور أن صاحب هذه الهيئة يمضي شطراً كبيراً من وقته في صفوف المدارس حيث يحفّ به التلاميذ وهو يوجههم ويعلمهم ويحادثهم !..

ولما أخذت أتأمل بفكري هذه الظاهرة ، أدركت أنها هي وحدها سر انصياع هذه البلدة لشيخها العظيم !.. فلو كان الرجل في حياته مع الناس مثل بعض العلماء الآخرين : يجول معهم ضمن دائرة محدودة تحصرها وظيفة معينة تستهدف غاية واحدة لا تتبدل ، لما كان له أي أثر في الناس اكثر من آثار أولئك الآخرين ، ولما كان لسعيه أي فائدة فيهم اللهم إلا فوائد جزئية متناثرة لا يمكن أن يتألف منها أي منهج قويم متكامل .

★ ★ ★

منذ ذلك اليوم، أصبح اسم الشيخ محمد الحامد ملء نفسي وكياني كله ؛ لا من أجل مزيد علم وتحقيق قد يمتاز بهما عن غيره من العلماء ، ولا من أجل مزيد من الصلاح والتقوى قد لاتجد منهما عند سواه ، ولا من أجل لطف معشر أو رقة حديث قد يجذب بهما من حوله من الناس . ولكن من أجل هذه الظاهرة التي أثارت لدي الدهشة والتي لم أجدها عند كثير من العلماء الآخرين .

ان الذي لفت نظري من حياة الشيخ محمد الحامد رحمه الله وجعله بذلك ملء قلبي حباً وتعظيماً ، هو هذا التكامل الرائع الذي تجلى لي في حياته الاسلامية . ولقد أخذت — من بعد هذا اللقاء الاول معه — لا أتأمل من ترجمته وشؤون حياته الا هذه الظاهرة وحدها ، وكان كلما امتدت بي الايام وازددت معرفة بالشيخ وأحواله ، ازدادت هذه الظاهرة لدي تألقا ووضوحاً .

تتأمل في حياته وأعماله العلمية ، فتجده يذهب مذهبا يوليه كل اهتمامه وفكره ، حتى ليخيل اليك أن الرجل قد تجاوز به الأمر الى حد الافراط والقسوة، وأنه انما يعيش حياة عقلانية جافة مجردة . ولكنك تنظر بعد ذلك ، فتراه — مع هذا كله — مستغرقا في حالة من العبادة والتبتل وتقوى النفس ، متحليا بأسمى حقائق التصوف الاسلامي الصحيح ، يتمثل في سلوكه الدائم قول الله عز وجل : ( وذروا ظاهر الإثم وباطنه ) ، حتى ليكاد يخيل اليك أن الشيخ انما ينظر الى الاسلام من خلال زاوية أوراد ورياضات صوفية مجردة . ولكنك تتأمل ، فتجده الى جانب ذلك ثائرا على كل بدعة ، منكرا لكل تزيد ، محذرا من كل انحراف ، مهتاجا في وجه كل منكر ولو جاء مغلفا بما يسمى بالحقائق أو الشطحات . ونظن أخيرا أن هذا هو كل ما عند الشيخ من مسلك وبحث وفهم . ولكنك تنظر واذا به يصب هذه القيم العلمية والسلوكية كلها في طريق من الدعوة الاسلامية المركزة ، يؤمن بتنظيم الفكر

والمنهج والسلوك ولا يرى عند الكلمات الجوفاء وصيغ الوعظ والارشاد المجردة أي جدى لتحقيق أي حق • يعتقد أن الشباب الواعي هو مادة العمل الاسلامي وسر بقائه ونموه ، ولذلك فهو يخلط حياته بمشاعرهم ويقيم دعوته على جانب كبير من ايمانهم وجهودهم • وهنيهات أن تراه ذات يوم وقد حصر نفسه في زاوية ضيقة من جوانب الاسلام ليقول لك ــ كما يقول بعضهم ــ هذا ما حصرت عليه نفسي ولا شأن لي بما وراء ذلك• ولكنه يفهم كما يفهم كل عالم واع أخلص لله في علمه واسلامه : أن الاسلام جوانب متكاملة ان هدم منه جانب سرت بذلك عوامل التصدع والزلزال الى الجوانب الاخرى ، ولذلك فما ينبغي للمسلم ( اذا كان صادق الاسلام ) الا أن يكون قائما بحق هذه الجوانب كلها ، يرعاها بعقله ودمه وحياته ، ولعل هذا المعنى هو الذي كان يجعله يردد قوله المعروف : انني لا أتمنى أن أكون حاكماً، ولكن الذي أتمناه هو أن أكون مستشارا لحاكم مسلم •

هذا التكامل في العلم والفهم والسلوك الاسلامي ، هو الغاية التي ان وصل اليها العالم المسلم في بلده وقف بذلك في مرتبة ليس بينه وبين النبوة فيها الا درجة الوحي • وما كان العالم خليفة ووارثا للنبي الا على هذا المعنى وبهذا القيد والشرط •

وما كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم مع صحبه ، طيلة حياته النبوية التي عاشها ، الا نموذجا رائدا لهذا التكامل • أرأيت كيف كان يبني بيمين صبره وجهاده صرح الحقيقة الاسلامية شامخا يملأ حياة المسلمين من كل جانب ، يملؤها بالعقيدة الراسخة الصحيحة حتى لا تبقى فيها ثغرة يدلف اليها أي وهم من الاوهام الباطلة ، ويفيض عليها صبغة العبودية لله عز وجل حتى لا يبقى فيها منزع ذل أو خضوع لغيره سبحانه وتعالى ، ويكسبها الواقع الاجتماعي والسياسي الصحيح حتى لا يتهددها شيء من فوضى السلوك والخلق والحياة ــ ان هذا البناء المتكامل القائم على هذه الجوانب كلها ، هو الاسلام الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام ، ودعا اليه في حياته ، ثم وكل الينا شأن رقابته والحفاظ عليه بعد وفاته •

ولا يكون المسلم مسلما حقا ولا العالم الاسلامي أمينا على ما استأمنه

عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الا اذا كان عمله الاسلامي متكاملا على النحو الذي ذكرنا .

ليس المهم في العالم أن يكون علاّمة فيما يحفظ ويفهم من حقائق الشريعة الاسلاميةوأحكامها الاجتهاديةالمختلفة، فرب عالم متبحر لم يكن علمه الا وبالا على الاسلام وأهله .

وليس المهم فيه أن يكون مستغرقا في الزهادة يملأ بياض أيامه وسواد لياليه بالأذكار والعبادة والأوراد ، فرب جماعات من هذا القبيلجرفهم سلوكهم هذا الى حياة سلبية منطوية مؤلمة حجبتهم عن الاحساس بأي غيرة على الاسلام وشعائره وحكمه ، قد يرى أحدهم معاول الهدم والتدمير تدك صرح الحقيقة الاسلامية دكا ، فلا يتحول مع ذلك عن سُبحته وخلوته وأوراده !..

وليس المهم في العالم أيضا أن يكون مجرد داع وواعظ أو مرشد ، يهيج الناس بخطبه المتأججة ، ويحمسهم بكلماته الهائلة ، ويشيد في أخيلة الناس صرحا عظيما من الحكم أو المنهج الاسلامي القويم ــ فرب دعاة من هذاالقبيل أصبح كل شأنهم هو التعويض عن خسارة المسلمين التي حاقت بهم اذ تركوا اسلامهم ، بأوهام تصول وتجول داخل رؤوسهم ، ورب دعاة من هذا القبيل أسقط في أيديهم وهم في ذروة تهييجهم وتحميسهم للآخرين ، عندما قيل لهم: لقد آمنا وصدقنا ، فما السبيل وما المنهج وما الحكم ؟.. ولا والله ما ضرّ بالاسلام وأهله أكثر من رجلين اثنين : خامل يرى النار تلتهم شرعة اللهوحكمه فلا يتحول عن محرابه اليها بأي جهد أو محاولة ، ومهيج مهذار يبيع الناس كلاما ويملؤهم وعودا وحماسا دون أنْ يتحرك من أرضه أو يحرك الناس الى سبيل من الفكر والعمل والتدبير .

وأعود مرة أخرى فأقول : ان شعوري بهذه الحقيقة هو الذي جعل اسم الشيخ محمد الحامد ملءَ قلبي وكياني كله . لقد كانت حياته كلها ردا على معنى التجزؤ والشتات البارزين ــ مع الأسف ــ في حياة المسلمين اليوم . أجل فقد كانت حياته ردا قوياً صارخا على معنى ما أسميه بالتوظف والتعصب لجهة من جهات العمل الاسلامي مع الاعراض الكلي عن الجهات الاخرى ان

لم نقل : مع الحرب لها • ومن أجل ذلك استطاع الشيخ محمد الحامد أن يقيم من ورائه هذا الأثر الكلي المتكامل في مدينته الصغيرة الرائعة • ومن أجل ذلك لاتجد هناك أي ظاهرة مهمة تذكر ، لداء التناقض المفرق للصفوف ، على نحو ما قد ترى في مدن وأماكن أخرى • ومن أجل ذلك تنظر في مسلك تلاميذه وأخلاقهم وطبيعة وعيهم ، فترى صورة هذا التكامل منعكسة على حياتهم وأفكارهم : يؤمنون بالعلم وأهله ويذهبون في تقديره مذهبا يجعلهم يعتقدون أن أي خطوة في سبيل اقامة المجتمع الاسلامي لاينبغي أن تكون الا بهدي من العلم الراسخ الدقيق • يتميزون بالعبادة والورع والتقوى حتى ليخيل اليك أنهم مريدون سلكهم شيخهم في طريق من التربية ولكنهم يتحلون مع ذلك بالوعي والتمسك بأهداب السنة المطهرة لايتحولون عنها الى أي بدعة يعلمون أنها بدعة • وهم بعد هذا كله شعلة تتقد في سبيل مستقيمة من الدعوة الى الحق وأهله لايبالون من أجل ذلك بحياة أو نعيم •

وفي يقيني أن هذا التكامل الإسلامي اذا ما توفر بهذا الشكل الذي وصفت، فليس من ضير في أن يكون صاحبه غير معصوم عن الخطأ والسهو ، كما هو شأن كل انسان •

ومعنى هذا أن الشيخ محمد الحامد رحمه الله لم يتبوأ هذه المكانة في الصدور ، ولم يترك من ورائه هذا الاثر الاسلامي العظيم ، من أجل أنه كان معصوما في كل ما يعرضه من آراء وما يعالجه من مسائل العلم والبحث •• ولذلك فلا قيمة بل ولا معنى لمحاولة نقده أو النيل منه من هذا الجانب • وانما كان ذلك كله من أجل أنه لم ينصرف بعمله الاسلامي الى زاوية خاصة من زواياه يحصر نفسه فيها ويتعصب لها ولا يدعو الا اليها ، وانما صرف حياته الى جملة العمل الاسلامي كله فجعل من اتجاهه الى كل زاوية من زواياه سبيلا يستعين به على التوجه الى الزاوية الاخرى • ومثل هذا السعي الرائع العظيم لا يضيره عدم العصمة ولا يؤثر فيه امكان الوقوع في الخطأ • بل ولم تكن سنة الله عز وجل قاضية في يوم من الايام أن يكون الخطأ في الرأي ــ بعد التمحيص وبذل الجهد ــ سببا لأي اخفاق أو أصلا لأي فساد •

★ ★ ★

لقد ارتحل هذا العالم العظيم الى جوار ربه ، بعد أن سار طويلا في هذا

الدرب الذي وصفت ؛ وبعد أن خلف وراءه أثرا عظيما يتحدث بنفسه عن نفسه • ولا ريب أن ارتحاله أعقب فراغا خطيرا في ميدان العمل الاسلامي الصحيح • وقد لاتكون خطورته من الناحية العلمية وحدها أو من ناحية الوعظ والتوجيه ، أو من ناحية الارشاد ففي المسلمين عندنا اليوم من يقوم بشأن هذا الجانب أو ذاك ••

ولكن الفراغ الخطير الذي خلّفه الشيخ من ورائه ، انما هو حاجة المسلمين الى ما قد أوضحت وبينت •• الى تكامل العمل الاسلامي والقيام بأعبائه من كل جانب •

ان هذا التكامل ، هو وحده الدواء الذي يحتاجه المسلمون اليوم ، وهو وحده السبيل الى جمع صفوفهم ولم شعثهم ، وهو وحده المرقاة الى سالف مجدهم وعزهم •

وان في القلب من هذا لغصّة •• ولكن عزاءنا الوحيد وجود بقية صالحة من أهل العلم والفضل لاتزال بلادنا ترفع الرأس فخارا بهم ، واني لعلى يقين بأنهم يشعرون بالحاجة التي استشعرها ، وان كثيرا منهم ليسير بخطى ثابتة مطمئنة في نفس السبيل •• ومهما كانت ثمة سبل متعرجة ملتوية تزخر بخليط من الشذاذ والاقزام والمنتفعين ، فان الصراط النير المستقيم الذي اختطه الله عز وجل واضح للابصار كلها في طبيعته ومنتهاه ، وانه لصراط يلتقي عليه كل ذي وعي سليم وحرية صادقة ، وانهم ليزدادون مع الزمن ، وانه للحق الذي وعد الله به عباده الصادقين •

وأعود الآن الى الصورة التي أحفظها في نفسي عن مدينة حماه ••

انها صورة ستبقى في نفسي مع الزمن •• وستزداد لديّ مع الأيام تألقا ووضوحا • صورة لها في نفسي مكان التقدير والاجلال ، منذ أن عرفت الشيخ محمد الحامد في منزله المتواضع الصغير • ولها في نفسي مكان الحب والوداد منذ أن تحرك القلب اليها وعرفت الكثير من أهلها وذويها •

وسيظل القلب على ما هو عليه ، وستبقى الصورة حية مشرقة مع الزمن ••

وإن في الحلق لغصة •• ومن وراء الصدر نفاثات كاوية •• وما كان أسعدني ببثها وشرحها ، لو اتسعت لذلك هذه الصفحات ولكن فلتحبس النار في الاعماق فربما اتخذت منها قبسا ينير لي الطريق أو أجد به على النار هدى ولكل أجل كتاب •

# أرزاؤنا أردتك يا علم الهدى

بقلم : مصطفى الحدري

أبكيك لو نفع الفليل بكائي ... أو كان في الدمع السخين شفائي

ما عادتي شعر الرثاء وإنما ... ذاب الفؤاد فكان شعر رثاء

أبكي على الإسلام بعدك تائها ... مثل اليتيم يسير في الظلماء

نبكي عليك وتلتظي أرواحنا ... بلهيب آلام ونار شقاء

بكت العيون صبابة فبكت لها ... عند الأصيل سحابة بسماء

ولو أنها لم تبك فوق رؤوسهم ... ذاب السراب على ثرى البطحاء

يا ما جداً ناحت حماة لفقده ... وصدى بكاها رن في الأنحاء

قد كنت قرآنا يسير وعزمة ... جبارة الخطوات ذات مضاء

تبكيك آيات الكتاب ومجلس ... حفت به الأنوار كل مساء

أبدي عليك تجلدا ولهجتي ... ضرم يشب النار في أحشائي

ولو أنني أبكي كما شاء الهوى ... لبكيت من قلبي بفيض دماء

قد كنت تحسبني سأصبح عالماً ... فغدوت يا شيخي من الشعراء

كحمامة تركت خمائل جنة ... وغدت تروم العيش في الصحراء

أرزاؤنا أردتك يا علم الهدى ... ففرقت في بحر من الأدواء

لا ينزع العلم الشريف من الورى ... إلا بأخذ أكابر العلماء

كنت الوليّ على الحقيقة بيننا ... طهراً وإن لم تمشِ فوق الماء

إرث النبوة في جبينك ساطع ... وعليك نور مهابة وصفاء

قد كنت باب وصولنا وتقطعت ... سبل الوصال فأين أين عزائي ؟

# سيد العصر

للدكتور مأمون شقفه

الى فضيلة الشيخ محمد الحامد رحمه الله

طلبت فأجيت ... لأجد الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في النزع الأخير .... عندها فقط أيقنت أنه سيموت .... وفي هنيهات مرت أمامي صور فضيلته في المدرسة وجامع السلطان .... وكلماته وعبراته وهو على فراش المرض .... كنت أعلم خطورة مرضه وخطورة الجراحة التي أجريت له ولكني لم أصدق أنه سيموت حتى تلك الساعة .... شعرت آنئذ كيف افتقدناه .... وكيف مرت حياته الطاهرة الداعية دون أن نلازمه حق ملازمته ونستفيد منه حق الاستفادة ...

وشيعته الأرض .... واستقبلته السماء .... وكادت الملائكة تحمله من البشر فتسير الدنيا والآخرة في موكب واحد .....

مهما قيل في وصفه فقليل .... أهل الله لا يحيطهم وصف .... ولا يعلم حقيقتهم إلا الله ....

هو في نزعه وفي سكراته ذو جلال يفيض من قسماته
ينفذ الوعظ في القلوب فيحييها ، ولو كان غارقاً في سباته
نفحات الايمان تصدر عنه فتطيب الأجواء من زفراته
كل ما فيه دعوة وصلاح جل من صاغه على آياته
أجمع الناس أنه سيد العصر وأن الاسلام في كلماته
دائم الخوف سر مدي الترجي مخلص لا يفيق من سبحاته
يعبد الله ، لا يرى غير وجه الله في قلبه وفي عبراته
وجهه مشرق كأن عليه كلمات من ربه لدعاته
نظرة منه تملأ القلب نوراً وتقيل الحيران من عثراته
واذا قال أسمع الله أحجا ..... راً فلانت لقوله وعظاته
عبقري تسري المهابة منه فتخاف الجبال من عزماته

لا تحد الأنظار فيه ، ولكن يستشف الجمال من لمحاته
وكثير ان يذكر الناس أشيا ء وتنسي أحواله في صلاته
ليتهم ما رثوه ، وقد عجز الوصف ، ولا غرو ، أن يفي مكرماته
إن سر الولي يكمن فيه لا يصيب العباد إلا صفاته
قيل ما قيل في النبي فهل كا ..... ن الذي قيل قطرة في ذاته
يعلم الله وحده مصطفاه ويحوم المداح في عتباته

★ ★ ★ ★

سيدي هل أقول مهجة قلبي أم أداري الهوى على غصاته
يا لذكراه تغمر الافق طيباً وحنيناً إلى شذى أمسياته
خلف العطر والهدى وقلوباً صابرات تعيش في ذكرياته
وتلاميذ كالبراعم في نيسان تسقى أغصانها بركاته
رب عين في هدأة الليل تبكي فتزيد الدموع في حسناته
رب مجد يقام بعد قرون كان ماضيه زائداً في بناته
رب خيل تهوي إلى صخرة القد ..... س فيعلو التكبير من صيحاته
انه الشعب انه امة الاسلام قامت في شخصه وسماته

★ ★ ★ ★

يا إمام الزمان قد شرق الدمع وغص الفؤاد في أناته
يا حماة الثكلى ويا أمة الاسلام صبراً فالصبر من نفحاته
عجز الصبر كله أن يسلي رب صبر كالموت في حشرجاته
كل من في حماة كان يعزي كل من في حماة حين مماته
وسرى النعي في البلاد فماج السير كالبحر من لظى حسراته
كادت الأرض أن تميد رثاء وبكاه السحاب يوم وفاته
كاد كاد الحجاب يكشفه الله فتمشي الداران في مأساته

يا جنود الرحمن حفيه بالمجد وطوفي بالنور حول رفاته

واحملیه الی رحاب حبیب کان والله منتهی أمنیاته
سیدي هل رضیت ... ما أطیب الحب الذي عشت زافراً آهاته
أنت في روضة الحبیب سعید وثکالی الفراق في لوعاته
أنت علمتنا الیقین فطوبی لك في الخلد تعتلي غرفاته
کنت للفقه موئلا وملاذاً من تری نرتجیه في معضلاته
والهدی أنت شمسه وضحاه هل ترانا نأوي إلی نجماته
قد رضینا یا رب ... لو خیرنا لبذلنا حیاتنا في حیاته
فاجمع الشمل بالأحبة یا رباه عند المختار في جنانه

# محمد الحامد

## العالم الفذ

للاستاذ : محمد ابراهيم بخات

المغرب ـ الرباط

كان رضوان الله عليه عظيما لا كالعظماء ، وتتجلى عظمته المتعددة النواحي والمتجددة المعاني في خدماته الجلى لدين اللطيف الاسلام العظيم .

ان الاسلام رفعه لتلك المنزلة الكريمة لأن شعاره كان على الدوام العمل لهذا الدين لأنه البرهان الوحيد على الايمان تطبيقا لقول العلي القدير :

**« وقل : اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »**

**« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »**

هداه الله فسار قدما في دروب اليقين ، فلم يعرف الوهن في سبيل الدين ، ولم ين عن العمل له ، ولم ينحن للمتربصين به الدوائر ، ولم ينثن عن الدعوة له مهما اعتورته من خطوب واعترضته من صعاب ، لأنه يعلم أن المنتمين اليه والداعين له هم الأعلون إن كانوا مؤمنين .

ان الحقيقة الاسلامية البينة غمرت كيانه وتسربت الى جنانه فأفعمته ، فأقبل بكليته يعمل للدين الحنيف تنفيذا للحديث الشريف : « دينك دينك .. فانه لحمك ودمك » .

لقد كان من أعلام الفكر الاسلامي الأفذاذ الذين اشتهروا بأصالة التفكير وعمق التدبر على مر العصور ، وبذلوا قصارى جهدهم لخدمة دينهم والتعريف بحقيقته للمنتسبين اليه ، ونفى ما علق به من مفاهيم خاطئة وشبهات مشككة ومفتريات واهية لا أساس لها من الصحة . وامتازوا علاوة على ذلك بارشاد

معاصريهم من شعوب الأمة الاسلامية الى الأصيل من الدين فيتشبثون بـه والى الدخيل عليه فيتجنبونه .

إنه بحق درة يتيمة من درر تاريخ الفكر الاسلامي البحث الـذي لم ير التاريخ الانساني له نظيراً من حيث الصلاح المتميز به والاصلاح الرامي اليـه للنوع البشري .

إنه مجاهد بالفكرة السديدة والقولة الحكيمة والكلمـة الرشـيدة التي تبرهن على الحقيقة وتقضي على كل شبهة .

وما كان نجاحه في دعوته الى سبيل ربه الا نتيجة العمل بالنهج القرآني في قوله تعالى :

**« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »**

وبذلك كان علامة نسيج وحده ، وداعية بالقلم من أجل الاسلام فريدا من نوعه .

فلقد نافح عنه وكافح بلسانه ، وناقش في سبيله وبرهن على صلاحه وخلوده ، ودلل على فساد آراء خصومه ، ودحض أباطيل الحاقدين عليه ، وأبطل ادعاءات أعدائه الكثيرين عنه .

كانت كتاباته الحركية الرائدة والمتميزة بالواقعية والايجابية للصـلاح والاصلاح والسداد والارشاد .

وكان انتـاجه الفكـري الاسـلامي بمثـابة السـهام الربانيـة في نحور المضللين العاملين ضد الدين في كل الأحايين .

سخرته العناية الإلهية لخدمة الملة الحنيفة في عصر كثرت فيه المذاهب الهدامة وتنوعت النحل المضللة التي تزيد الطين بلة وتهدف الى الشطون عن حبل السماء الذي قال تعالى قي الحث على التمسك به والعمل بما فيه :

**« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »**

فما أعظمه من مرشد ! قيّضه الله لتجديد دينـه واحيائه في نفوس معتنقيه وتفهيمه لهم ، في عهد فرط فيه المسلمون في دينهم ، وتضافرت كل

قوى الضلال والإضلال على محاربته ومحاربتهم بشتى الوسائل .

كان رحمه الله لسان حاله يقول ويردد في كل حين :

( إن الانسان المسلم بله الكافر مهما تنكر لدينه ونأى عنه يرجع أخيرا له ، فالشواهد على ذلك كثيرة متنوعة بأنه لا عيش الا في ظل الاسلام ، ولا حياة بدونه للبشرية قاطبة .

إن وظيفة المسلم في الحياة أن يكون قدوة لا أن يكون أمعة ، فما خلق للتبعية بل لاتباع نهج دين الفطرة ) .

تلك نداءاته وهذه هتافاته

الى الاسلام الدين القيم الذي يلائم هذا الانسان في كل زمان ومكان .

الى الاسلام دين الفطرة ، دين الحياة ، دين السعادة الدنيوية والأخروية ، وصدق سبحانه :

**« ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »**

إن محمداً الحامد العالم العامل لم يمت بل استشهد في ميدان الحقل الاسلامي بالعمل الديني والقول الايماني والسلوك الفعلي .

وكان عليه الرضوان الرجل الأجود والأستاذ الفذ والعالم الجهبذ الذي كون الرجال ووجه الأجيال .

لقد أفاد بعلمه وأرشد ، وجاد بنفسه حتى قضى نحبه .

وما خلفه من إسلاميات ومؤلفات هادفة خير برهان على علمه المفيد السديد .

إنه أدى الأمانة الملقاة على عاتقه أحسن أداء ، وصدق ما عاهد الله عليه ، فكان من الذين قال فيهم تعالى جده :

**« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .**

تلك لمحات في كلمات عن الرجل العظيم .

فقيد الاسلام محمد الحامد العالم المجاهد والداعية الرباني أثابه رب العزة أمثل إثابة ، وتغمده برحمته الأبدية ، ونعمه في فراديس جنانه حيث النعيم المقيم والعدن الدائم .

# لن نتقلب بعدك على الأعقاب

للأستاذ عبدالله الصباغ

**« كلمة آل الفقيد واخوانه والعلماء التي القاها الشيخ عبد الله الصباغ في جامع السلطان أثناء تشييع جثمان الفقيد الشيخ محمد الحامد رحمه الله »**

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون . وأصلي وأسلم على نبي الرحمة وإمام هذه الامة محمد صلى الله عليه وسلم خيره ربه فاختار الرفيق الأعلى من النبيين والصديقين والملائكة المقربين .. اللهم صلي على هذا النبي الكريم ذي القلب الرحيم وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . أما بعد :

فرحمك الله شيخنا الحبيب أبا محمود ورضي عنك ، سلام على روحك العذبة الطاهرة ورحمة الله ..

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجا ... على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى أن تطول حياتي

سلام عليك ياشيخ الصدق والبر والمرحمة والوفاء ..

لقد كنت روحا فياضا يسري في كيان هذه الامة ..

كنت صادق اللهجة صادق الحديث ، لسان الحال فيك أبلغ من لسان المقال ، وصوت الافعال منك أعلى من صوت الاقوال ..

وكنت باراً رحيما متواضعا يذوب قلبك حسرة وأسى لمصارع البؤس

ومطارح الشقاء .. بعيداً عن التجبر والتكبر والتمشدق والخيلاء .

كنت عبداً حقا من عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما .

قد رضيت من العيش بالكفاف فكانت الدنيا في يدك وتحت قدمك ولم تكن في قلبك ، وترفعت عن أن تأكل الدنيا باسم الدين لتحفظ للعلم جلاله وللعلماء منزلتهم الرفيعة : « قوامين لله شهداء بالقسط » كما أمر الله .

وكأنك كنت تتمثل قول القاضي الجرجاني :

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

وكنت عف القلب واليد واللسان ، بريئا براءة الاطفال ، سخي العبرة دائم الفكرة جياش العاطفة موصول الاحزان .. لا يعرف القلب أوفى منك ولا أحفظ للود والعهد ، ولا أرعى للذمام ..

وكنت عربي اللسان ، عبقري البيان ، اسلامي العقيدة ، انساني النزعة وقافا عند كتاب الله اذا ذكرت به تذكرت ووجلت وارتعشت ارتعاشة الخوف والتقوى ولم تفارقه الى ماسواه .

وكنت مدرسة وحدك في العلم والتحقيق تسهر ليلك وتنفق الساعات الطوال في تمحيص الحقائق الدينية نهوضاً بحق الامانة وخوفا من سياط التعذيب يوم القيامة .

وكنت مثلا شروداً في الخطابة والوعظ والارشاد . اذا تسنمت المنابر اخضلت أعوادها واهتزت ذراها وهمت العيون وفاضت الشئون وطارت القلوب شوقا الى الله وفرحا بلقياه .

وكان مجلسك مجلس ذكر وعلم وحياء لا تخدش فيه حرمة ولا يزن فيه بريبه .. ما جلست مجلساً الا وعلاه نور وبهاء وخوف من الله وبكاء ..

لقد كان حال الاسلام والمسلمين شغلك الشاغل وهمك المقيم المقعد .

لقد كنت تتحرق على ما أصاب المسلمين من مصائب ونكبات .

كنت تعيش لامتك جمعاء تبكي جراحاتها وتنادي بالثاراتها ..

ولقد استحوذت قضية فلسطين بلد الاسراء والمعراج أرض المقدسات

قلب هذه الامة الراعف النازف .. استحوذت على صفوة خطبك الجهادية النارية وجل احاديثك ..

لقد كنت تحمل هموم المسلمين كلها على رأسك حتى تمكنت العلة من كبدك « والداء في الجسم غير الداء في الكبد » فسقطت إعياء وضعفا بعد ان اصطلحت على جسمك السهام والجراحات .. وقضيت شهيداً بطلا في الساحة الكبرى المقدسة شهيد الحق شهيد الاسلام .

لهف نفسي عليك ايها الحبيب الشهيد ! أي خطب جلل حل بدارنا وأية لوعة وحرقة سكنت حبات قلوبنا وأحالت ربيع حياتنا قفراً موحشا وشتاء قاسيا ..

ياملاذنا في المهمات ومفزعنا في الملمات ودرعنا في الخطوب يا فقيد الاسلام والمسلمين يا نجماً هوى ويا طيفاً تلاشى ويا أملاً تحطم .

لقد افتقدناك ونحن أحوج ما نكون اليك ينبوع حكمة وصوت هداية وكنز عظات ..

لقد أفنيت عمرك في طاعة الله ودفاعا عن حرمات الاسلام وكان آخر آية لامست روحك الطاهرة وأهل بيتك عند رأسك يتلون من كتاب الله سورة الرعد : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »

طوبى لك ! لقد أعلنتها صريحة : الله ربي واستقمت عليها منهج حياة .. فلك البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة : « ان الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلاً من غفور رحيم » .

لقد رأيتك في رؤى كثيرة في مرضتك الاخيرة قصصت بعضها على اخواني وحبست الآخر منها في صدري ، وكانت هذه الرؤى التي رأيتها

ولم أبح بها : رأيتك وقد توفاك الله وخرجت المدينة على بكرة ابيها كالامواج المتلاطمة ملتاعة ثكلى تودع شيخها وحبيب قلوبها وقد اغبرت الآفاق ورانت الكآبة وخيم الحزن والوجوم ووقفت اخطب الناس وأتلو عليهم قول الحق تبارك وتعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » .

لا يا سيدي الحبيب لن ننقلب بعدك على الاعقاب ولن نضل وقد هدانا الله .

يا شهيد الحق يا شهيد الاسلام إن اللواء الذي حملتيه لن يسقط وان المشعل الذي أوقدته من دماء قلبك الزكية لن ينطفىء .. سنرفعه من بعدك الايدي الفتية الامينة ، سيحمله من بعدك الابناء والاحفاد . الرجال والاشبال الذين اغتذوا بالاسلام وتعهدتهم بالسري والسقيا حتى اشتد ساعدهم وصلب عودهم .

نم قرير العين راضياً مرضياً في جوار رب كريم رحيم طالما أحببت لقاءه وأحب لقاءك جزاك الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء ، وجمعنا الله بك تحت لواء سيد المرسلين وامام المتقين والحقنا بك في الصالحين غير فاتنين ولا مفتونين ولا خزايا ولا نادمين وحسبنا الله ونعم الوكيل : « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » والسلام عليكم ورحمة الله .

# العلماء العاملون
## وأثرهم في الأمّة

للاستاذ محمد حسن بريغش

في الظروف الصعبة تشعر الأمة بقيمة رجالها العظماء وتحس بحاجتها إلى المخلصين العاملين من أبنائها ، والرواد المؤمنين من شعبها ، هؤلاء الذين تستقيم أعمالهم على الحق ، وتعلو هممهم فوق الصعاب ، ويتخطون بعزائمهم ضرورات الحياة التي يمرون فيها ، وهكذا يتميز رجال بمالهم من صفات متفردة، وبما يتمتعون به من المزايا المتميزة ، وبما يقدمونه من الأعمال العظيمة .

وأمتنا ـ على مدار التاريخ ـ تميزت بعظمائها ، وبرجالها الذين خطوا في الحياة أروع الأمثلة ، وكانوا أسوة حسنة للشعب كله . حيث كان الناس جميعا ينظرون اليهم بأمل ، ويتبعون خطواتهم بعزيمة ، ويسيرون وراءهم بالحق وللحق بتصميم ، ولذلك استطاعت هذه الأمة ـ التي أناط الله بها مسؤوليات ضخمة في الحياة ـ أن تنتصر على أعدائها ، وأن تبني حضارة وارفة الظلال ، ومجداً رائع البناء وأن تنشر عقيدة سامية ، وتقيم دولة عظيمة ، وتترك أروع الآثار في مختلف المجالات .

وعندنا كثير من الأمثلة الناصعة من هؤلاء الرجال ، فمنذ ولادة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ والى يومنا هذا نجد أمثلة على ذلك .

فرسول الله ـ صلوات الله عليه ـ كما وصفه الله تعالى كان : أسوة حسنة للمؤمنين ، ولذلك كان القدوة الرائعة الجلية في كل أمر من أمور الحياة وفي كل تصرفاته وسلوكه : في بيته ومجتمعه ، بين أصحابه وأعدائه ، في سلمه وفي حربه ، في معاملاته الخاصة والعامة ، واستطاع بهذا السلوك السوي المستقيم ، وهذا النموذج العملي أن يعطي المسلمين المضطهدين القلة نموذجاً رائعاً يحتذى ، وقدوة واضحة تتبع ، ومثالا عمليا لكل ما يدعوهم إليه أو يبشرهم به .

واستطاع أيضاً أن يعطي أعداءه مثالا حياً وبرهاناً واضحاً على صدق ما يدعو إليه بهذا الانسجام الرائع بين أقواله وأعماله ، وبهذه القدوة التي ضربها للناس جميعاً .

والخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا ـ أيضاً ـ خير قدوة لبقية المؤمنين والتابعين باستقامتهم على الحق ، وتمسكهم بالعدل ، وقيامهم بالواجب ، وايثارهم للخير ، وتضحيتهم من أجل الناس ، وشجاعتهم في مواجهة الامور ، ومشاركتهم للأمة في أفراحها واحزانها و .... و .... ولذلك استطاعوا ان يتموا بناء الدولة ، وأن يقيموا الأجهزة الجديدة ويجهزوا الجيوش الفاتحة ، وينساحوا في الأرض شرقاً وغرباً هادين فاتحين منتصرين .

واستطاعوا أن يعطوا المسلمين الأمثلة الواضحة ـ بعملهم وسلوكهم ـ على اخلاق المسلم وصفة الحاكم ، واستقامة العالم ، وتقوى المسلم ، في الحرب والسلم وفي الأمور الخاصة والعامة .

والقواد العظام الذين بقيت معاركهم خالدة على جبين الزمن أمثال خالد وابي عبيده وجعفر وزيد وابن رواحه وسعد وعمرو .... وغيرهم ، أيضا كانوا قدوة لجنودهم في التقوى وصدق الايمان ، وفي التضحية والاقدام والشجاعة في الحكمة والتأني ، والبطولة والفداء ، فكان سلوكهم تطبيقاً عملياً لما يؤمنون به ، ونموذجاً حيا أمام الجيوش المؤمنة التي تطيعهم .

وغيرهم وغيرهم كثيرون ممن ضرب أروع الأمثلة العملية أمام الناس فكانوا قدوة لغيرهم وأمثلة أمام الأمة جمعاء .

وحين اتسعت رقعة الدولة ، ودخلت كثير من البدع في أخلاق المسلمين وتدخلت العناصر المشبوهة والمنافقة في تسيير دفة الحكم ، حينها رفع العلماء الصالحون راية الحق ، وحملوا دعوة الجهاد بالكلمة والسيف وأظهروا كلمة العدل ، وكانوا المصدر الذي يشع بالنور والهداية على الأمة انهم « ورثة الانبياء » بما يعلمون ، وبما يتحملون من المسؤولية أمام الله عز وجل ، ولذلك فالامانة الكبرى في أعناقهم لتوجيه الناس نحو الخير وتبصيرهم بمواقع الشر والظلام ، ودعوتهم للجهاد ضد الاعداء الذين يقتحمون حمى الوطن .

ولذلك كنا نرى ـ في كل وقت ـ أمثلة رائعة للعلماء المخلصين العاملين ، الذين رفعوا لواء الحق عاليا بلا خوف ، وتمسكوا بالخير والاسلام رغم الصعوبات والمحن والقسوة والتنكيل الذي كانوا يلاقونه .

فالحسن البصري ، والامام أحمد ، وأبو حنيفة ، والشافعي ،

والامام مالك ، والعز بن عبد السلام وغيرهم كثيرون ، كل هؤلاء كانوا أمثلة رائعة من الامثلة الكثيرة التي ضربها العلماء المتقون العاملون للناس .

وبذلك استحقوا أن يكونوا ائمة وقدوة لهم ، لانهم صدقوا الله في أقوالهم وفي أعمالهم ، وتحملوا من أجل ذلك الاضطهاد والعذاب والتنكيل ، وكانوا في طليعة الامة عند الجهاد ، ولا نزال نذكر مواقف الامام احمد بن حنبل أو مواقف العز بن عبد السلام وكيف استطاع هذا العالم التقي العامل ان يحرك الامة ، ويحيي الامة ، ويثير العزيمة ، ويقوم النفوس لملاقاة الجحافل الغازية التي أرادت تدمير الارض والناس والحضارة . فكان فضل هذا العالم أنه حول الامة من التخاذل والخوف والمعصية والهزيمة الى العزيمة والشجاعة والطاعة والنصر . كل ذلك بفضل ما حمل من الحق ، وبفضل السلوك السوي الذي تميز به ، والقدوة الحسنة التي أعطاها للناس جميعا . وحين نستعيد تاريخ هؤلاء العلماء نجدهم أشد تمسكا بالحق من تمسكهم بالحياة ، وأكثر ملاذاً بالاسلام والخير من ملاذهم بالمال والبنين ، وأحرص على رضاء الله من حرصهم على أية منفعة أخرى ، اذا استنصروا لا يستنصرون إلا الله . واذا خافوا لا يخافون إلا الله ، وإذا طلبوا الرضى لا يطلبونه إلا من الله .

أعمالهم ترجمة لما يعتقدون ، وسلوكهم صورة عما يدعون ، وتصرفاتهم قدوة لمن يرشدون .

هؤلاء العلماء هم الذين يستحقون أن يكونوا ورثة الانبياء ، يؤثرون العمل على القول ، ويعدون العدة قبل أن يرفعوا أيديهم بالدعاء .

هؤلاء العلماء هم الذين يعرفون أن مخالفة أعمالهم لأقوالهم أبشع النفاق ، وأن سوء سلوكهم أدهى الاخطار ، وأن عدم اتباعهم للحق في كل حركاتهم انما يوقعهم في الاثم والحرام ، ويجعلهم القوم الذين يخاطبهم الله تعالى بقوله « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ويعرفون حق المعرفة فداحة الخطب الذي ينزل بهم وبأمتهم في الدنيا والآخرة عندما ينافقون وينحرفون ويعطون الأمثلة السيئة للأمة بسلوكهم بعدما سمعوا قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » فاذا كان هذا خطاب لعامة المؤمنين فكيف بالعلماء الذين يدركون أكثر من غيرهم .

ان العالم التقي العامل شعلة مضيئة أمام الناس ، وقوة روحية

تدفع بالخير والحق الى الانتشار والفوز ، والامة حين تجد بين ظهرانيها أمثال هؤلاء تتجنب كثيرا من العثرات ، وتجد النموذج العملي كما ترنو اليه ، وترى القدوة الحسنة التي تتأسى بها في مشاق الطريق وتتبصر النموذج الواضح الذي تقتدي به لتميز بين الحق والباطل وبين الصادق والكاذب ، وبين المؤمن والمنافق ، وبين العالم الصحيح ، والمدعي الكاذب ونحن في هذه الايام ، أحوج ما نكون الى أمثال هؤلاء العلماء المتقين العاملين ، الذين يعطون بسلوكهم وعملهم مثالا يحتذى ، وقدوة تتبع ويضربون للمسلمين التائهين الوقائع العملية التي لا تخطىء دليلا على تربية الإسلام ، وأثراً لمبادئه .

ونحن بحاجة إليهم ليرفعوا راية الحق ، ويكشفوا زيغ الباطل ، ويبثوا في الأمة روح الرجولة والعزيمة والأمل ، ويصلوا بها الى روعة الجهاد ، والاستبشار بالنصر ، والنشوة بالشهادة .

وهؤلاء العلماء هم الذين يترفعون فوق المادة ، ويزهدون بما في الدنيا من شهوات ، ويترفعون عن كل المغريات ، ويصمدون أمام كل المخاوف .

ومن هنا كان فقدنا للاستاذ الجليل الشيخ محمد الحامد ـ رحمه الله ـ خسارة كبرى لما تميز به من الصفات الجليلة ، والسلوك السوي النبيل ، والحرص الشديد على دينه واسلامه ، ثم لمواقفه الرائعة التي اعطت نموذجاً واضحاً للمسلمين ، في زمن عز فيه وجود العالم التقي العامل .

فلا غرابة أن ينال في حياته اعجاب الأقربين والأبعدين ولا غرابة أن تكون وفاته ملمة أصابت المسلمين ، وجعلتهم يشعرون بخلو مكانه بينهم لصفاته ومميزاته ، وأعماله ومآثره .

رحم الله الفقيد الكريم ، وأسكنه الله جناته ، وجعله من المقربين ورثة جنة النعيم .

وعوض الله الامة عنه بالسائرين على دربه ، المتبعين هدى الله ، العالمين العاملين المتقين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

قطوف من شعر فضيلة الشيخ :

# محمد الحامد

« جمعت هذه القطوف من المفكرات السنوية التي خلفها والدي رحمه الله وقد نثر فيها بعض شعره على مدى ثلاث عشرة سنة وقعت بين : ١٣٤٦ – ١٣٥٩ هجرية والموافقة ١٩٢٨ – ١٩٤١ ميلادية وقد جهدت في ترتيب ما حصلت عليه حسب الأبواب التي ولجها أهمية ، مراعياً بذلك التسلسل الزمني ما أمكن ، ولم ألتفت الى كثرة الشعر وقلته بقدر ما التفت إلى قيمته ، ولهذا قدمت شعر المديح النبوي والشعر الديني في الاستغفار والتوسل ، قدمته على الوصف والحنين مع أن له فيهما شعراً كثيراً ، وربما اقتطفت من القصيدة زهرة أبياتها حتى لا أطيل ، وكي يخرج القارىء الكريم بفكرة شاملة عن شعر والدي رحمه الله تعالى ، ولقد يهم أن أذكر أن كثيراً من شعره بين أيدي أصدقائه وإخوانه ، وليس له أصول مكتوبة عندنا ، لأنه لم يكن يعتني كثيراً بجمعه . والله ولي التوفيق » ..

**عبد المعز محمد الحامد**

يا حبيبَ الرحمن، ياصفوةَ الخلْـ ... ـقِ ويا مُنيتي وراحةَ رُوحي

يا وَلـيِّي وسيِّدي وإمـامي ... أَنت لي خيرُ مُشفقٍ ونصيح

لا أَبي لا أَخي ولا صَدرُ أُمي ... لا ولا ذو الإخاء خِدْنُ الروح

★ أحب التنبيه هنا إلى أن هذه القصيدة والتي تليها ليستا في المفكرات ، وإنما نقلتهما من المجموعة التي نشرها السيد محمد موسى باشا بعنوان « مقتطفات من روائع الشعر » بتاريخ ١٣٨٥ هجرية و١٩٦٥ ميلادية.

بلغوا شـــأوَكَ ٱلعـليَّ بـبرٍّ أو وفاءٍ أو في الحنان الصحيح

يا بنفسي لِقاً ولو طَرْفَ عـينٍ وبأهلي ! وكلِّ غالٍ ربيـــح

فنعيمُ اللقاء فيـــه حيـاتي وهنائي وفيـه تُشفى جروحي

حبُّ هـــذا النبي سرُّ انقيادي وأخو الحُبِّ ما به مِنْ جُموح

والمحبون طائرونَ قلوبـاً وبباب الحبيب كم مِنْ طريـح

ملكَ الحبُّ أمرهم فاستكانوا لهواه أسرى إســـارٍ مُريح

ويخافون أن يكونَ انفكاكٌ أو بَراحٌ يُريح من تبريـــح

حبذا ٱلعيشُ والرضا عيشُ قومٍ في غرام كم فيه من مستريـح

وعليك الصلاةُ تَمسى ومَغْدىً تتوالى مع السلام الرجيـــح

وعلى الآل والصِّحابِ وأهلِ ٱلْـ ـحب والمدحِ بالبيان ٱلفصيح[1]

ـ وقال :

« خَطَراتُ الهوى تروح وتَغدو ولِقلب المحب حَلٌّ وعَقْدُ »[2]

وأخو الحب بالوفـاءِ مُوافٍ أمرُه في ٱلْغرام صـــدق وعَهد

شوقُه طائرٌ إلى الحِبِّ مـا لل شوق في مذهب المحبين حَدُّ !!

والهوى مالئ الجوانحِ منهُ إنْ تراخى وجْدٌ ، تجدَّدَ وجد

وعذابُ التَّبْريح يلقاه عذباً وعناءُ الهوى فلاحٌ ورُشْد

---

١ ـ تليت هذه القصيدة نيابة عن الشيخ الوالد ، أمام الروضـــة البهية المباركة .

٢ ـ هذا البيت من التضمين في القصيدة ، وعليه قامت .

إنَ حَداه الحادي جرتْ من جواه ... أَدمُعٌ في الخدود تشدو وتحدو
كلُّه للرضا رجاءٌ ، ويَخشى ... أَن يَعوقَ الوصالَ صدٌّ وردُّ
يا هنائي إن كان يومُ مُنائي ... مُنعِماً باللقا ، وحسبيَ وعد
إنَّ راجي الرضا يسير حثيثاً ... شأْنُه في المسير سَبْقٌ وجِدُّ
وأُراني صِفرَ ٱليدينِ ! فما عِنْـ ... ـدِيَ سَعْيٌ ، وهل لمثليَ عِند ؟!
لا خَبِيءٌ من صالحٍ في وِفاض ... إنْ زَها ٱلعاملون فيما أَعدُّوا
ربِّ عِدْ بالحنان ، وارحَمْ عُبَيْداً ... ما لهُ من سؤال عفوكَ بُدُّ
وأَذِقْهُ من الرضا نفحاتٍ ... ما إليهن في المذاقةِ شُهْد
صلِّ ربِّي دوماً على قلب حِبي ... وعلى الآل ما تردَّدَ حمد
مَعْ سلامٍ تَهْنا به الروحُ منه ... ما تغنّى حادٍ وأَقمرَ سَعد

**وقال أيضاً (١) :**

ضاقت الأَرض بالغريب ٱلكئيب ... فتولّى وصفوُه في ٱلنحيب
غرِقتْ نفسُهُ بلجّةِ همٍّ ! ... وعلاهُ من فوقُ موجُ ٱلكروب
زفراتٌ له تُخال جحيماً ! ... وهْوَ إنْ أَنَّ ، قُلتَ : أَنَّ حَريب
كلما لاحَ بارقٌ برجاء ... عرضَ الحظُّ عابساً بقُطوب
وتوالتْ سودُ المصائب تُجْلى ... بعصيبٍ يجيء إثْرَ عصيب
حِيلَ بيني وبينِ راحةِ قلبي ... فهْو باكٍ من شدة التعذيب
وأَشدُّ ٱلعناء ما كان في ٱلقلـ ... ـبِ وهذا ٱلبلاءُ كان نصيبي

(١) كتب هذه القصيدة في مصر سنة ١٣٥٧ ـ ١٩٣٩ م

غيرَ أني وإن دهتْـــني الدواهي ... آملٌ رحمةَ ٱلقريب المجيب
في ليـالي الآلام يُرتقب ٱلفجـ ... ـرُ إذا ما دجا ظلامُ الخطوب
ربِّ ، إني إليك محضُ افتقاري ... فأَعذْني من لوعـــةِ التنحيب
وأَجبْ دعوتي وحقِّقْ رجائي ... وٱرْحَمَنْ غربةَ النَّبيِّ ٱلغريب
وأَفِضْ نعمةً على ٱلقلب فيهـــا ... نفحاتٌ من فيضك المصبوب
وأَدِمْ لي كمـــا تحب رشادي ... وأَنِلني من الرضـــا مطلوبي
ومن الله كلَّ آنٍ تَوالى ... صلواتٌ على الرسول المهيب

**وقال في ٱلاستغفار :**

يا أَرحمَ الرُّحماءِ مـا لي حيلةٌ ... إلاَّ الرجوعُ إليـك يا رباهُ
أَنا قد أَسأْتُ وأَنت ربٌّ غـافر ... غَوْثاه مما قـــد عَرا ، غوثاه
يا سيدي يا مَن إليـــه شكايتي ... أواه ممـــا نابني ، أوّاه
أَدْرِك بلطفك نادمـاً ذا حسرةٍ ... مستغفراً ممّـــا جنَتـه يداه
ما لِلضعيف إذا أَلمتْ كربةٌ ... إلاَّ الدُّعـــا : أَللهُ يا أَلله !
يا ربِّ نفِّس عن عُبَيْدك كربةً ... وأَرِحْه مما قـد عنا ودهـاه

**ـ وقال أيضاً :**

تاللهِ بابُ ٱلعفو باب واســـع ... هو للأُلى عكفوا على الأَوْزار
وبرحمةِ ٱلغفار أَطمع أَن أُرى ... أَبداً بعيداً من عذاب النـار
يا ربّ إن الذنب أَثقل كاهلي ... وغدوتُ محسوباً من الأَشرار

بدِّلْ بفضلِك حالتي وإساءَتي حتى أُضافَ لزمرة الأَخيار
يا قلبُ حُلَّ عزيمةَ الإصرار والجأْ إلى الرب الكريم الباري
فعساه يرحم مُثقَلاً بقيوده ويُحِلُّهُ أَمْناً وحُسْنَ جِوار

**ـ وقال يمدح صديقه الشيخ أحمد الحصري ( ١٩٣٣ ) :**

حُييتِ يا أَرض المعرَّهْ ـ فيك الكرامةُ والمبَرَّه
فيك الحياةُ وفي حِماكِ الروحُ تسرح في مسره
منك الذي هو ساكنٌ في القلب إمساءً وبُكره
إنْ غاب عني غِبتُ عن أُنسي ولاقتني المضره
أَو كان عندي كان بَيْـ ـتي فوقَ دارات المجره
حُبِّيهِ قد ملأَ الفؤا دَ فصِرتُ من أَشباهِ عُذْره[٣]

**ـ وكتب الى اخوانه بمصر بعد عودته الى حماه ( ١٩٤٠ )**

رعى الله دهراً سَعِدتُ به بعبد المعزِّ وعبدِ البديعِ
وحيا زماناً مضى وانقضى وخلَّفَ ذكراه بين الضلوع
أَحبايَ هذا فؤادي لكم وهذي عيوني وهذي دموعي !!
لقد فعل الشوق بي فعلَه وما من مجيب وما من سميع
تركتُ بمصرَ صحاباً كراماً لهم طار شوقي ، وشَتَّ ولوعي
رجالٌ لهم في التُّقى مأْرَبٌ تلوحُ عليهم سِماتُ الخشوع

---

٣ ـ عذره قبيلة عربية ينسب اليها الحب العذري الطاهر .

ـ وقال في مصر يمدح شيخه أبا النصر الحمصي النقشبندي :

هي الروحُ تَسْري في الهوى حيثما يَسري
وتصعَد في نجـــدٍ وتهبط في غَوْرِ

وكلُّ مناهـا أن يكون أَليفُها ... بمشهدها، والْبُعدُ من أنكر النُّكْر
وأنكرُ منه أن يكونَ مُتيمٌ ... قَصِيًّا ومَرْمِياً بشيء من الهجْر
فذاكَ أُسى فوق الأسى ومرارةٌ ... بجانبها يحلو الزُّعاقُ[٤] من المر
ولولا، لَهُ الآمالُ بالقرب واللقا ... قضى حَزَناً أوغاص في أَبحُرِ الضر
ولكنها تبدو، فيغدو بفرحة ... ويسكن مرتاحاً ويأْمل باليسر
خليليَّ! ما فوقَ البسيطة كلِّها ... ولا بينَ أُحبابي على القُلِّ والكُثْرِ
ولا في فؤادي ساكنٌ أبدَ المدَى ... سوى سيدي الشيخِ الإمام أبي النصر

وقال يصف حماة أيام دراسته في حلب سنة ١٩٢٨ :

آهـــاً على وادي حما ... ةَ إذا نسيمُ الصبح هبّـــا
آهـــاً على تلك الربو ... عِ وأَهلِها بعـــداً وقربا
النهرُ يخـــترق الريا ... ضَ وقد جرى حلواً وعذبا
دولا بُـه يبكي ويسـ ... ـقي الدمعُ فاكهةً وأَبّـا
أَنّى أَرى ذاكَ الحمى؟! ... إني رأَيت البعد صعبـــا
مذ غِبتُ عنه بكى الفؤا ... دُ ومات هذا القلبُ كربا

٤ ـ الماء الزعاق : الملح ( مختار الصحاح ) .

يـا مَنْ بقلـــبي وُدُّهم ... وبحقِّهم لم أَجْنِ ذنبـا
لا تَقْطعـوني إنـــني ... قـد كنتُ واللهِ المُحِبا

**وقال أيضاً :**

يرحمُ الله عهـدَنا يوم كنا ... إذْ رشفْنا من ٱلكؤوس زُلالا
كنت حولَ ٱلعاصي وبينَ جِنانٍ ... أَلْبسَتْها يدُ الإلهِ جمـــالا
قد جرى الريحُ في الرياضِ عليلاً ... وغـدا ٱلغصنُ زاهياً مُخْتـالا
وتجلَّتْ شمسُ السماء مليكاً ... يملأُ ٱلكونَ هيبةً وجلالا
مـا أَلَذَّ ٱلمقامَ بـينَ ربوعٍ ! ... قد حَباها الجمالَ ربي تعـالى

**وقال أيضاً سنة ١٩٣١ :**

يمِّمْ حِمىٰ وادي حَمـاهْ ... واقضِ اللُّبانةَ من هواهْ
وتَنقلَنَّ بأَرضـــه ... بين الأَزاهر والميـــاهْ
يا قلبُ ! ويحك كم تئِنُّ ... بليلك الساجي دُجـاه
تتـذكر الإلفَ الجميـ ... ـل ، وطيبَ عيشٍ في حِماهْ
أَواهُ مـــا أَحلى أُوَيـ ... ـقاتٍ مضتْ ، أَوّاهُ آه !!
عيشٌ لذيـــذٌ ناعمٌ ... وزمانُنـــا بالأُنس زاه
ٱلبعـــدُ قد سحق ٱلفؤا ... دَ فصار مَيْتاً في حشاه
ليتَ التداني عائـــدٌ ... فنذوقَ من شُهْدِ جَناه !

وقال في دمشق وغوطتها :

إنْ رُمْتَ تنظر جنةَ الدنيا ففي ... مغنى دمشق يسُرُّ طَرْفُ الناظرِ

وإذا أَردتَ محاسناً قد جُمِّعتْ ... فاشرَعْ إلى بحر الجمالِ الزاخر

فهيَ الخريدةُ تَزْدهي في حسنها ... وتتيهُ إذْ تُجْلى بوجهٍ زاهر

وعاد الى حماة سنة ١٩٣٣ بعد انتهاء الامتحان في المدرسة الخسروية بحلب ، فقال :

يا رياحَ الشَّمال هُبِّي عَلَيا ... وأملئِيني من نفح طِيبِكِ رَيّا

آهِ لو دُمتِ لي ودامَ زمانٌ ... كنتُ فيه عن اللُّغوبِ قصيّا

يا أَخِلاَّيَ ، هل مَعادٌ إليكم ... يُرجِعُ الْعهدَ عهدَنا الذهبيا

مُذْ بَعُدْتُم ، أَعْقَبْتُموني حُزْناً ... كنتُ منه وقتَ التداني خَلِيا

إذْ سروري بكم عظيمٌ وعيشي ... يا أَحبايَ كان عيشاً هنيا

إيه يا صحبُ هل شَجاكم بعادي؟ ... فلقد سِيقتِ الْكروبُ إليّا !!

وقال يصف القناطر الخيرية بمصر سنة ١٩٣٨ :

خرجنا بُكرةً نَبغي الْقناطرْ ... وقد عَلِقتْ ببهجتها الخواطرْ

وكنا اثنين ، ليسَ لنا سوانا ... وكلٌّ بِرَّ صاحبه يُبادرْ

ولما أَنْ بلَغناها ، بلَغنا ... مُنىً ، قد كان مكنونَ الضمائر

وملنا هكذا ، حيثُ انتحينا ... ظلالاً نَتقي حَرَّ الهواجر

وكان مُرافقي خيرَ النَّدامى ... يُشاركُ في حديثي أَو يُشاطر

أَخو فضلٍ وذو نُبلٍ ، سليلٌ لأَمجادٍ لهم تُتلى المآثر
له شِيَمٌ وأَخلاقٌ ويُغْني صلاحُ الدين عن كل المفاخر!!
أَنِسْنا في الخمائل واغتبطْنا وقد نعِمَتْ بها منا النواظر
وأَغصانٌ تميلُ بالأَزاهِرْ كما مالَ العذارى بالغدائر
ظهرنا فوقَ ظهرِ أَليم كيما يَزِفَّ لنا الهنا أَجلى المظاهر
وعُدنا والسرورُ لنا قرينٌ يُسايرنا ويا نِعْم المسايِر

ـ وقال بعد أن أدى امتحانه في كلية الشريعة الأزهرية بمصر سنة ١٩٤٠ :

ذُبْتُ يا مصرُ مُذْ عزمتُ رحيلا ولو أَسطعت عشت فيك طويلا
كنت ممن رموك بالنكر لكن عاد صوت النكير قولاً جميلا
صانك الله من صُروف الليالي وتناءَتْ عن جانبيك قُفولا
وكذا دُمتِ ـ ما بقيتِ ـ مناراً لفَخارٍ ، وللعلاءِ مَقيلا
ما أُحيلى خمائلاً ومروجاً مرتعَ الروح بُكرةً وأَصيلا
هبَّ فيها النسيمُ يسحب ذيلاً يُؤنس الروضَ فاتراً وعليلا
وجرى النيل صافياً سلسبيلا يملك القلب أَو يَبُل غليلا
يا رَعى اللهُ ما وقفتُ عليه حين أَنِلت بالهنا المأْمولا
ليت شعري! يا مصرُ، هل ثَمَّ عَوْدٌ بَعْدَ بُعْدٍ وهل أَنال وصولا
أَنا إِن عشتُ عن حماها بعيداً تَخِذَ القلب نحوَ مصر سبيلا

وقال في مصر سنة ١٩٣٨ :

آهِ مما تلقى سُوَيْدا فؤادي ... من غرامٍ مُحَرِّقٍ وَقّاد !!
قد ألحَّ الوجدُ المبرِّح في القلـ ... ـب وتاقتْ روحي لأهلٍ ودادي
وتهافَتُّ مُدْنَفاً من هواهم ... والهوى قد يُذيب قلبَ الجمادِ!!
آهِ من مهجتي ومن حَرِّ قلبي ... زاد وجدي في يقظتي ورقادي
إن تراءَوْا للروح في النوم أصبحـ ... ـتُ وأُنسي وفرحتي في ازدياد
أو أتاني منهم لطيفُ كتابٍ ... عظُمتْ منهمُ لديَّ الأيادي
يا أُهَيْلَ الوفا ، تحيـة قلبٍ ... قلبَتْه نارُ الجوى والبعاد
إن هجرتم ففي حنـاياه باكٍ ... أو وصلتُمْ ففي الجوانح شادي

ـ قال الشيخ : قلت رثاء على لسان أحد اخواني يبكي صديقاً له مات اسمه عبد الله ( ١٩٤٠ ) :

رعى الله عهداً كنت فيه رفيقي ... وأنت ، أَعَبْدَ الله خيرُ صديق
لقد نعِمتْ روحي بروحِك حِقبةً ... وما بيننا من نُكْرةٍ وفرُوق
وهاهُوَ حُزني ، مذ ثَوَيْت ، مُصاحِبي ... وإنِّيَ بالسُّلوان غيرُ حقيق
وأنّى لقلبي أن يُسَرَّ ، وإنه ... من الهم والأحراقِ غيرُ طليق
سقى الله قبراً أنت فيه موسَّدٌ ... وجادَكَ غيثُ الفضلِ كلَّ شروق

وقال رثاء وحكمة :

رضينا بما قد خطَّه قلم القضا ... ولولا الرضا ضاقت بنا سَعَةُ الفضا

ويا أيها الثاوي وحيداً بحفرة  من الأرض إنّا ذاكرون لما مضى
عزاءُ قلوبٍ ناضجاتٍ من الأسى  لفقدِك، أنّ العيش كالبرق أومضا

ـ وقال يرثي أخاه شاعر العاصي بدر الدين الحامد ( ١٩٦١ ) :

يا لها ليلةً كوتني بناري  طالعتني بأسوأ الأخبار !!
غابَ فيها بدرٌ فطال سهادي  وتوارى أُنسي وشبَّ أُواري
سكن الرمسَ صامتاً بعد شدوٍ  وحُداءٍ حُلوٍ كسجع الهزار
لَهْفَ نفسي عليه أمسى وحيداً  ولقد كان نزهةَ السُّمار
يملأُ القومَ حكمةً وبياناً  ونظماً من طيب الأشعار
وله صرخةٌ إذا الخصمُ أزرى  بكريم الأبطالِ والأحرار
كنتُ في حِجره صغيراً يتيماً  فرعاني رعايةَ الأبرار
حاطني من حنانِه بإطارِ  وبه انجابَ غَيْهب الأكدار
ولقد كان ذا جَنانٍ رفيق  بسوائي وتلكَ حالُ الخيارِ
ما لَه للأذى اعتمادٌ وما كا  نَ لِقلبِ الرحيم من أضرار
أمِّلِ الخيرَ والرضا، أنت عبدٌ  مؤمنٌ بالعلي ذي الاقتدار
عالِقُ السرِّ بالرسول أمينِ اللـ  ـه ذي الفضل أحمدَ المختار
سيدَ الرُّسْل، وافدٌ قد أتاكم  يرتجي منكمُ كريمَ الجوار !!
وشفاعاتكم حديثاً وقِدْماً  لجليل الأخطاء والأوزار

ربِّ فارحمْ بَدْراً وعامِلْ بلطف ... منك عبداً أفضى لدار ٱلْقَرار

واجعَلَنْه في جنـــة ٱلخلد جذلا ... نَ فأنت ٱلعفوُّ أكرمُ جـــارِ

صلِّ مولايَ ما رضيتَ على حِبِّ ... كَ نورِ الأنوار شمسِ ٱلْفَخَار

وعلى الآلِ مـــا ترتَّلَ وَحْيٌ ... وتلاهُ ٱلْعِبَاد في الأسحـــار

**ومن شعره في الغزل الرفيع :**

جذبتَ يدي إليك فسِرتُ أسعى ... وقلبي قائلٌ سَمْعـــاً وطاعَهْ

لَعَمْرُك ما المحبُّ أخا امتناعٍ ... إذا ناداه من يهوى أطاعَـــه

حبيبُ الروح إمـــا شاءَ أمراً ... رآه ٱلمدنف ٱلمضْنى مَتاعـــه

لدى هذا الحبيب دمي وروحي ... فيا ويلاه إن شاء الإضاعه !!

**وقال الشيخ رحمه الله : « من تغزلاتي » : ١٩٣٩ :**

فرّقتَ بيـــني وبين عقـــلي ... بفُرقـة منك يا حبيبُ ! !

ورُحتَ حـــيرانَ ذا وَلوعٍ ... وإن أمر الهوى عجيب

يُحرِّق الشـــوق في فؤادي ... ونارُ حُبي لهـــا لهيب

وها حَشـــائي بها حَنينٌ ... وهاكَ قلبي بـــه وَجيب

وقـــد أضرَّ الهوى بروحي ... وأنت يا سيـــدي الطبيب

ألا حنانٌ عـــلى غريبٍ ... تالله ، ولهانُكم غريبُ

ولو رَحِمْتم بُكاه يوماً ... لَزالَ بأسٌ وزارَ طِيبُ

**ومن شعره في المعابات :**

**ـ قال الشيخ : وقد ألفتني هرة ، وكنت أشعر بشفقة عليها ، فولدت في هذه الأيام ثلاث قطط صغيرة ، فقال الأخ الكريم الشيخ سعيد المسعودي البابي مهنئاً لي بذلك ( حلب ١٩٢٩ ) :**

يَهنيك هرتك ٱلبيضاء قد ولدت ... خيرَ ٱلهريرات من خير الهوارين!

عاشت برَغْدٍ وعاشوا حامدين لكم ... لازلت كنزاً وذُخْراً للمساكين

**فقلت مجيباً له :**

وهبتُك الهرة ٱلبيضا وما وَلَدت ... خَلِّصْ فؤادي وقلبي من شياطيني

فكُن لهمْ مُحسناً بَرًّا وإن فعَلوا ... ذَنباً ، فدونَك ضَرْباً بالسكاكين

**ـ وقال في هجاء الذباب :**

قُبحتَ من طـير يقوم ويرتمي ... فوق الموائـد بالوقاحة مُعْلَم

مهما طُرِدتَ تعودُ !! تلك وقاحة ... وبها لَعَمْري، عُدتَ غيرَ مُكَرَّم

قد صِرت معروفاً لدى كل الورى ... بدناءةٍ وبهـا وُسِمْت بميسَم

كم تُزعج الأَحبابَ في خَلَواتهم ... ولَكَمْ تُغير على الرُّقود النُّوَّم

يا أَثقلَ الثُّقلاءِ ! حسبُك ما مضى ... وكفاكَ شرباً وامْتياحاً من دمي

أَرَّقتني وحَرَمْتني طيبَ ٱلكرى ... بشنيعِ طنَّاتٍ وسوءِ تَهَجُّم

لا صَفْوَ إلاَّ إن رأَيتُكَ نائياً ... إذْ أَنتَ يا مَشْؤومُ أَصْلُ تَذَمُّمي

ـ وقال في الفول ، وطارت له شهرة بها ( مصر ١٩٤٠ ) :

أَلا يا مُحِبَّ ٱلفول أَصْغ لِقَوْلتي ... فقد عاد هذا ٱلْفول موضعَ فتنتي !!

يسيلُ لعابي إن شَمَمْتُ عَبيره ... ويخذُلني صبري وتَضْعُفُ قوتي

وعينيَ قَرَّتْ مُذْ رأَتنيَ مُقبلاً ... عليه بقلبٍ صادق وبهمة

أَلا يا مِحبَّ ٱلفول ! خُذني مُرَبيًّا ... وكن سامعاً قولي مُجلاً نصيحتي

فَفُولٌ فَوُولٌ فاحترسْ من تشاؤم ... فإنَّ اسمَهُ يَقضي بحُسْنِ ٱلمظِنة

وإنَّك إن تأْكُلْه كلَّ صبيحة ... تَرَ ٱلخيْر سَخًّا في الضحى و ٱلْعَشيةِ

فكُلْه بلَيْمون وزيتِ طحينةٍ ... وثومٍ وفجل واصْطَحِبْه بشَطَّة[1]

ولا تَزْهَدَنْ في هذه ، فهي عُنْصرٌ ... له ٱلْفضلُ في تحصيل طيبٍ ولذة

أَلا يامحب ٱلْفول ! إنا لَمَعْشَرٌ ... بلغنا بأَكل ٱلْفول حدَّ ٱلبطولة

فكن راشداً واقبل نصيحةَ وامِقٍ ... وعَنْ حُبِّ هذا ٱلْفول لا تَتَلَفَّت

أَلا ليت شِعري ! هل أَدوم مصاحباً ... له ، إنَّ بُعدي عنه يسفِكُ عَبرتي

وإن غرامي فيه غيرُ مُفارِقي ... وذاكَ لَعمْرُ ٱلْفول أَصل بليَّتي !!

حلفتُ بحق ٱلْفائحاتِ بعطره ... له ٱلْقلب مرعىً في منامٍ ويقظة

وقد علم الأَقوام أَنِّيَ مُدنَف ... عُرِفْت بحبِّ ٱلْفول بين عشيرتي !!

---

(١) الشطة في مصر : هي الفليفلة الحمراء المطحونة .

أُهيب بقومي أَن يَهُبوا لأَكله ... وإِني لأَرجو أَن يدينوا بنِحلتي

أَلم يعلموا ما فيه من طيب مطعم؟ ... ومن حسن لون قد تجلى بشُقرة!!

عسى قِدرةُ ٱلفوّال يعبَق ريحُها ... فيظهرَ فضلُ ٱلفول في كل بقعة

وأَنتمْ أُهَيْلَ ٱلفول أَزكى تحيةٍ ... لكم ، من فؤادٍ عامرٍ بالمحبة!!

**ـ وقال بعد أن اعتبره أصحابه ـ رحمه الله ـ ملكاً للفول :**

ياعصبةَ ٱلفول دُمتم لي ودمتُ لكم ... ودام مَربَعُكم بالفول مُزدانا

عشقتم ٱلفولَ أَشياخاً وشبانا ... وقد أَقمتمْ لهذا ٱلعشق برهانا؟!

هذي قُدوركمُ بالفول زاخرةً ... أَزيزُها ملأَ الأَكوان أَلحانا

وريحُها عَطَّرَ الأَرجاءَ قاطبةً ... حتى غدا كلُّ قلبٍ فيه ولهانا

وقد أَحبكمُ من ليس يعرفكم ... (والأُذْن تعشق قبل ٱلعين أَحيانا)!

يا عِتْرتي، يا أُهَيْلَ ٱلفول، مجدُكمُ ... سامٍ وحاسدُكم قد بات حيرانا

أَكلتمُ ٱلفول حتى جل قدرُكمُ ... ونلتمُ بهواه في ٱلملا شانا

يا ويلَ مَنْ لا لَه في جمعنا صِلةٌ ... حقٌّ له أَن يذوق الجوع ألوانا

فالفول مَنْ رغبتْ عنه سريرتُه ... كان الجزاءُ قِلىً ، والحظُّ حرمانا

ومن يكُنْ راغباً فيه على شَغَف ... نال ٱلقَبولَ وأَوْلَيْناه إِحسانا

ـ وقال يرد على أحد مهنئيه بنجاحه النهائي من كلية الشريعة بالأزهر ويذكر أيام الفول :

جاءَ ٱلْكتابُ من الحبيب فحرَّكَ الحب الدفينْ
وٱلْقلب في شوقٍ أَكيدِ ما يزال بـــه رهينْ
فقرأْتـــه وقرأْتـــه فَلَكَمْ أَثار من الحنين
لمـــع الضياءُ من السطو ر فقلتُ : إِخلاصُ الأَمين
ثم ازدهىٰ متجليـــاً يا حسنَـــه للناظرين !!
رَجعتْ بيَ الذكرى إِلى عهدٍ مضى بين ٱلْغُصُون
حيث الرياضُ وحيث بحرُ النيـــل قد ملأَ العيون
والريحُ تسحب ذيلَها لاعَصْفَ فيها أَوْ سُكُون
وعبيرُ قِـــدْرِ ٱلفول يَحْ ـمِلُ بُشْرَياتٍ للبطون
وأَزيزُهـــا يُمْلي على الأَسماعِ أَنواعَ اللحُون
رحم الإِله لياليـــاً ٱلعقلُ فيها كالجنون
وعزاؤنا منهـــا لقا ءٌ في زياراتٍ تكونْ
بدُنوكم مِنْ بَعدِ هذا ٱلْبعـــدِ تنتظمُ الشؤون !

# الجانب الأدبي
## في شخصية العلامة الراحل
# محمد الحامد

**بقلم : عبد القادر حداد**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير مبعوث بالبيان ، الهادي الى سنن المحجة الواضحة ، وعلى آله وصحبه الأطهار ، وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد :

فإن للعظماء حقوقاً على أتباعهم ومريديهم في حياتهم وبعد مماتهم ، وقليل من أجلهم التبجيل والاكرام والذكر الطيب ، هذا مع كونهم عظماء في جانب واحد من جوانب المعرفة الإنسانية ، فكيف يكون الأمر مع من نكتب عنه الآن وهو العظيم في جوانبه كلها ، في نفاذ بصره ورقة خلقه وحسن خلقه وهيبته ، وذكاء روحه ، وشفافية جسه ، وسلاسة شاعريته ، وصفاء ذهنه ، وتواضعه المحبوب إلى عزة نفسه العالية ، هذا إلى فقه غزير وعلم ناقع يعمل به ، وأدب جم وورع شديد ، وقلب ذاكر ولسان شاكر ، وبحث في معضلات الأمور واستنباط لدقائق الأحكام الى روح مرحة مطبوعة على الأريحية ولطيف الفكاهة ، واحترام لآراء الناس وإيناس لهم واستئناس بهم ...

ولا عجب ، فشيخنا المرحوم محمد الحامد ، أمة في فرد ، وإمام في شخص ، جمع فأوعى ، وحفظ فأعطى ، وصدع بالحق فأرضى ، لكأن أبا نواس الحكمي عناه حين قال :

ليس على الله بمستبعد
أن يجمع العالم في واحد !

وإني ، وفاءً لذكراه ، وتقرباً بعملي إلى الله ، سأكشف عن جانب من شخصيته الفذة ، عن أدبه ، بالمعنى الفني لا المعنى الخلقي ، وان كانا شيئاً واحداً عنده بخاصة.

ولقد حبب إلي الخوض في هذه اللجة أن كثيراً من الناس لا يعرف عن

أدبه شيئاً ، وإن كنا نسمع بأنه شاعر مجيد ، ولم نر له أثراً منشوراً سوى قصيدتين نشرهما السيدمحمد موسى باشا في مجموعة مقتطفات سنة ١٩٦٥ ، فاذا كان هذا حال من عايشه ولزمه في مدينته ، فما بال البعيد القصي ؟! إن كان ليسمع فلا يرى ، ولقد كادت تعوزنا المصادر عن شعره لولا ما وضعه في يدنا نجله الكريم السيد عبد المعز الحامد ،بعد أن استأذن أخاه الكبير الشيخ محمود في ذلك ، وقد جمع هذا الشعر من مفكرات والده رحمه الله ، وكان سأله عن مناسباتها وتأريخها فجزاه الله خيراً ، وربما احتجنا في الدراسة الى بيان لمراحل حياته ،ولقد يسعدنا بتفصيلها من لزم الشيخ عمراً طويلاً، ولكننا سنبين الخطوط العامة في حياته .

ولد الشيخ في حماه عام ١٩١٠ ميلادية ،ودرس في مدرستها الشرعية، ثم قصد حلب للدراسة في كليتها الشرعية عام ١٩٢٨ وعمره ثماني عشرة سنة وبقي فيها حتى سنة ١٩٣٣ حيث أدى الفحص العام ثم رجع الى حماه ، وأتم دراسته في الجامعة الازهرية بمصر وتخرج منها ١٩٤٤ وعاد الى حماه ، وبدأ جهاده فيها منذ ١٩٤٥ وتوفر على تعليم العلم في ثانوية ابن رشد ومسجد السلطان خطيباً ومدرساً وبقي هذا الى أن اختاره الله الى جواره في السادس من مايس عام ١٩٦٩ .

## الأسرة والبيئة :

ولد الشيخ في بيئة علم ودين وأدب ، وكان والده الشيخ محمود الحامد عالماً متصوفاً أديباً ، ولكنه فارق الحياة وسن الشيخ لا تتجاوز الثامنة ، فرعاه أخوه الشاعر بدر الدين لأنه كان أكبر إخوته . وهو الذي دفعه الى تعلم العلم ، وقد دأب على ذكر ذلك في المحافل معترفاً له بالفضل ، وإن اختار لنفسه طريق العلم الشرعي .

أما الأدب فقد تحدر إليه من البيئة أولاً ومن الوراثة ثانياً ، فكان خاله الشيخ سعيد الجابي عالماً أديباً أمّا جد الشيخ سعيد فقد كان شاعراً وله ديوان مطبوع بعنوان ( ديوان الشيخ مصطفى الجابي ) ، ويمت إليهم بصلة القرابة شاعر حماه ( محمد الهلالي ) المتوفى عام ١٣١١ هـ ١٨٩٢ م وهذه القرابة للشاعر الهلالي ، تصل الشيخ عن طريق والدته من آل الجابي ، المعروفين بالعلم والفضل ، ولقد كان أخوه ( بدر الدين ) شاعراً فحلاً ، له القصائد الطوال في الوطنية ، أيام كان الفرنسيون في سورية ، وله قصيدة « الجلاء » المشهورة :

بلغتِ ثأركِ ، لا بَغْيٌ ولا ذامُ
يا دارُ ، ثغرُكِ منذ اليومِ بسام

وفيها يقول بيته السائر :

يوم الجلاء هو الدنيا وزهرتها
لنا ابتهاج وللباغين إرغام !؟

وله ديوان مطبوع جمع شعره الذي قاله في شبابه ١٩٢٨ م ومنه نرى أن للبيئة والوراثة أثراً في تكوين الشيخ الشعري .

كما أننا لا نغفل عن سبب آخر ، هو تغربه للدراسة في حلب ومصر ، وقديماً كانت الغربة حافزاً لقول الشعر وخاصة في الحنين ، هذه الغربة فجرت في الشيخ ينابيع ثرة ، فخرج شعره ملوناً بلون خاص ، ولن نغفل عن أثر الطبيعة الجميلة في حماه ذات العاصي والنواعير النائحة على المجد الغابر ، والبساتين والخضرة والأمواه ، . فمن مجموع هذا كله كان للشيخ مجال للقول في الشعر ، الى رهافة حسه .

**شعره :**

من المؤسف أن شيئاً كثيراً من شعره قد ضاع هنا وهناك ، فلم يكن له ـ رحمه الله ـ عناية بجمعه ، وربما كتب الرسائل المطولة الى أصدقائه وأجابه وضمنها بعض أشعاره ، ولن تجد لها أصولاً عنده ، وكل ما بقي له من شعر ، متفرق في مفكراته مابين عام ١٩٢٨ ـ ١٩٤١ م

ولقد انقطع عن الشعر فترة وحاول أن يدفع عن نفسه القريض ولكنه كانت تعوده الطبيعة الأولى وما ركب فيه من ميل شعري ، فيعود للنظم في المناسبات كما في رثاء أخيه بدر الدين الحامد ، أو في المراسلات التي تكون بين الأصحاب ، فيكتب نتفاً شعرية ، ظرافة ودعابة منه ، ولكنه لا يترك لها أصولاً عنده فتضيع ، إلا أن يحتفظ بها أولائك الأصحاب ، وفي الحقيقة ، إن انشغاله بالعلم الديني ، وعمله المتواصل لم يدع له فرصة للاعتناء بالشعر بل كان يعده ترفاً ولغواً ، كما ذكر ذلك الأستاذ منذر شعار

« أنشدني رحمه الله قبل مرضه بشهر ، شعراً له نفيساً ، قاله من مدة ، شعراً عفيفاً عالياً ، عربياً بكل شيء فيه ، نقياً كوجهه الكريم ثم قال بعد أن تلا قوله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون » فشعوره بأن الشعر لغو جعله قليل الاعتناء بجمعه ، فلم يبق لنا إلا تلك المفكرات السنوية التي بقيت محفوظة عند نجله السيد عبد المعز ، وسنعتمد عليها في هذه الدراسة ، بالإضافة الى القصيدتين المنشورتين في مجموعة مقتطفات موسى باشا .

**أغراض شعره :**

خاض الشيخ ميدان المديح بأنواعه ، فله مدح في الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، ومدح لمشايخه وأصدقائه وإخوانه ، وله شعر في الاستغفار والتوسل والتصوف الرفيع ، أما غالبية شعره فقد شغلها الوصف والحنين ، فوصف مدينته وجمالها الطبيعي ، وجمع إليه وصفاً لأنطاكية ومصايف دمشق ، كالزبداني وبلودان ، كما وصف حلب التي درس فيها ، وعندما حل مصر

متعلماً وكان قد أخذ فكرة عنها غير حسنة عاد فأثنى عليها وعلى أيامه فيها ، ووصف قناطرها الخيرية ووصف صديقاً له فيها ، وذكر أنه يحن إليها كثيراً . ولكن النغمة الصافية الرقيقة ، تظهر في حنينه ، الحنين الى حماه وكان في حلب ، ثم حنينه الى حلب بعد أن غادرها ، والحنين الى أيامه في أزهر مصر ، أما الرثاء عنده ، فلوعة صادقة وحزن مقيم ، يتخلل رثاءه الحكمة والاعتبار والتسليم بقضاء الله . وقد يعجب البعض أن يكون للشيخ شعر في التغزل ؟! ولكنه تغزل من نوع آخر ، هو في التصوف الصافي ، تغزل رمزي مقبول ولكن الذي يُعجب من الشيخ ويُطرب ، هذه الدعابات الرقيقة التي تجري بين الأحباب ، والطرف الشعرية الفكهة ، ولقد اشتهر الشيخ رحمه الله بقصيدته في الفول ، وهي مما قاله في مصر وسنعرض لكل هذه الاغراض بالتفصيل إن شاء الله .

## أ ـ المدح :

يتسم مدحه بالصدق ، فهو لم يمدح لقاء منفعة أو تزلفاً ، ولكنه مدح ديانة كما في قصيدته الحائية ، في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول :

يا حبيب الرحمن ، يا صفوة الخلـ
ـق ويا منيتي وراحة روحي
يا وليي وسيدي وإمامي
أنت لي خير مشفق ونصيح

فالرسول عنده أغلى من أمه وأبيه وصديقه :

لا أبي ، لا أخي ولا صدر أمي
لا ولاذو الاخاء خدن الروح
بلغوا شأوك العلي ببرٍّ
أو وفاء أو في الحنان الصحيح

وهو يحب الرسول لأن :

حب هذا النبي سر انقيادي
وأخو الحب ما له من جموح
والمحبون طائرون قلوباً
وبباب الحبيب كم من طريح

وأما نفحة الصدق فنلمسها في قوله :

يا بنفسي لقاً ، ولو طرف عين
وبأهلي ! وكل غال ربيح
فينعم اللقاء فيه حياتي
وهنائي وفيه تشفى جروحي

ولن تحس بلوعة الشاعر ، وصدق أحاسيسه إلا إذا رأيته ، يفيض ما في نفسه من الوجد ، بصدق ومعاناة ، وقد يظهر هذا الصدق ، الكلمة المعبرة ، والصورة الشفافة كما في قوله في قصيدته التي أقامها على هذا البيت :

« خطرات الهوى تروح وتغدو
ولقلب المحب حل وعقد »

فقد قال يصف المحب الصدوق :

وأخوا الحب بالوفاء موافٍ
أمره في الغرام صدق وعهد
شوقه طائر إلى الحب ما للشو
ق في مذهب المحبين حد !!

والهوى مالىء الجوانح منه
إن تراخى وجد تجدد وجد
وعذاب التبريح يلقاه عذباً
وعناء الهوى فلاح ورشد
إن حداه الحادي جرت من جواه
أدمع في الخدود تشدو وتحدو

والمس هذه اللوعة الصادقة عنده يصف سعيه ، وستحس بالعاطفة المشبوبة التي ضاعت عند شعراء كثر :

إن راجي الرضا يسير حثيثاً
شأنه في المسير سبق وجد
وأراني صفر اليدين وما عند
ي سعيٌ ، وهل لمثليَ عند ؟!
لا خبيء من صالح في وفاض
إن زها العاملون فيما أعدوا
رب عدْ بالحنان وارحم عُبيداً
ما له من سؤال عفوك بد

وقد يتوسل إلى المدح بالوصف ، كما فعل عندما وصف المعرة ليصل إلى مدح صديقه الشيخ أحمد الحصري ، فقال :

حييت يا أرض المعرة
فيك الكرامة والمبره
فيك الحياة وفي حما
ك الروح تسرح في مسره
فيك الذي هو ساكن
في القلب إمساء وبكره
إن غاب عني غبت عن
أنسي ولا قتني المضره

أوكان عندي كان بيتي فوق دارات المجره ؟!

وفي مدحه شيخه أبا النصر الحمصي ، بدأ بنجوى ذاتية فقال :

هي الروح تسري في الهوى حيثما يسري
وتصعد في نجد وتهبط في غور
وكل مناها أن يكون أليفها
بمشهدها ، والبعد من أنكر النكر
فذاك أسى فوق الأسى ومرارة
بجانبها يحلو الزعاق من المر
ولولا ، له الآمال بالقرب واللقا
قضى جزناً أو غاص في أبحر الضر ؟!

وقد يصف غربته ، وهمه وشوقه ليجعل ذلك سبباً للدخول في التوسل ، قال في مصر ( ١٩٣٩ ) :

ضاقت الأرض بالغريب الكئيب
فتولى وصفوه في النحيب
غرقت نفسه بلجة هم
وعلاه من فوقُ موجُ الكروب
كلما لاح بارق برجاء
عرض الحظ عابساً بقطوب
وتوالت سود المصائب تجلى
بعصيب يجيء إثر عصيب
وقال بعد قليل . .

قد توجهت بالنبي إلى الله
وبالمصطفى حصول الرغيب
يا حبيب الإله دائي عياء
جار فيه فكري وعز طبيبي
رب إني إليك محض افتقاري
فأعذني من لوعة التخيب
وأجب دعوتي وحقق رجائي
وارحمن غربة النئي الغريب

ومدحه إخوانه ، إخلاص واضح ،

فإذا كانوا في ديار بعيدة عنه فهو الشوق الشديد والوجد المبرح، يقول الشيخ في بعض إخوانه الذين عرفهم في مصر ( ١٩٤٠ ) :

أحبائي هذا فؤادي لكم
وهذي عيوني وهذي دموعي !!

لقد فعل الشوق بي فعله
وما من مجيب وما من سميع

تركت بمصر صحاباً كراماً
لهم طار شوقي وشت ولوعي

رجال لهم في التقى مأرب
تلوح عليهم سمات الخشوع

وخلاصة ما يقال في مدح الشيخ الحامد ، أنه مدح صادق اللهجة ، تدفعه الصداقة الخالصة ، والتلمذة البرة للعلماء الأجلاء ، والحب الكريم للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، والرجاء بالله الكريم ، وإن غلف كل ذلك ، الصورة الحية والجرس الموسيقي اللطيف ، النابع من الأوزان الشعرية التي اختارها والمعزوفة برقتها وجرسها كالخفيف والمتقارب ومجزوء الكامل ، والطويل في بعض الأحيان ..

## الوصف والحنين :

لقد جمعت هذين الغرضين لأني لاحظت أنهما متداخلان في شعره ، سقى الله قبره ، فكأن وصفه الديار ومنازل الأحباب ومعاهد الصبا ، علة لحنينه اليها والى آهليها وغالباً ما بدأ قصائده ومقطعاته بالوصف ، أعني وصف الطبيعة بشكل خاص ، كقوله يصف شوقه الى حماه بعدما غادرها للعلم الى حلب عام ( ١٩٢٨ ) وهي من بواكير شعره ، وكان عمره آنها ثماني عشرة سنة ، قال :

آهاً على وادي حما
ة إذا نسيم الصبح هبا

آهاً على تلك الربو
ع وأهلها بُعداً وقربا

النهر يختلق الريا
ض وقد جرى حلواً وعذبا

دولابه يبكي ويسقي
الدمع فاكهة وأبّا

يا مَنْ بقلبي وُدّهم
وبحقهم لم أجن ذنبا

لا تقطعوني إنني
قد كنت والله المحبا !!

وقال أيضاً :

يرحم الله عهدنا يوم كنا
إذ رشفنا من الكؤوس زلالا

كنت حول العاصي وبين جنانٍ
ألبستها يد الإله جمالا

ما ألذ المقام بين ربوع
قد حباها الجمال ربي تعالى !!

وله في مصايف دمشق هذه الأبيات :

إن رمت تنظر جنة الدنيا ففي
مغنى دمشق يُسر طرف الناظر

وإذا أردت محاسناً قد جمعت
فاشرع إلى بحر الجمال الزاخر

فهي الخريدة تزدهي في حسنها
وتتيه إذ تجلى بوجه زاهر

وبعدما انتهى من الامتحان في حلب ( ١٩٣٣ ) وعاد الى حماة هاجه الشوق الى معاهده التي قضى فيها أوقات لذيذة ، في الدرس ، وما أحلى أيام الدراسة . ! فقال :

يا رياح الشمال هبي عليا
واملئيني من نفح طيبك ريا

آه لو دمتِ لي ودام زمان
كنت فيه عن اللغوب قصيا

يا أخلاي ، هل معادٌ إليكم
يُرجع العهدَ عهدنا الذهبيا

إيه يا صحبُ هل شجاكم بعادي ؟
فلقد سيقت الكروب إليا

وقد يعجبك وصفه للقناطر الخيرية التي أنشأها محمد علي في مصر ، وهي بهجة الناظر ، لوجود البساتين حولها ، وقد تخلل هذا الوصف ، وصف للصديق الصادق ، قال :

خرجنا بكرة نبغي القناطر
وقد علقت ببهجتها الخواطرْ

أنسنا في الخمائل واغتبطنا
وقد نعمت بها منا النواظر

وأغصان تميّلُ بالأزاهرْ
كما مال العذارى بالغدائر

أما صاحبه في هذه النزهة فهو كما وصفه :

وكان مرافقي خير الندامى
يشاركني في حديثي أو يشاطر

أخو فضل وذو نيلٍ سليلٌ
لأمجاد لهم تتلى المآثر

له شيم وأخلاق ويغني
صلاح الدين عن كل المفاخر

وصورة مصر عنده جميلة لأنها :

هب فيها النسيم يسحب ذيلاً
يؤنس الروض فاتراً وعليلا

وجرى النيل صافياً سلسبيلا
يملك القلب أو يبل غليلا

وشوقه لها شديد :

ليت شعري ؟ يامصرُ ، هل ثمّ عَوْدٌ
بعدَ بُعدٍ وهل أنال وصولا ؟

أنا إن عشت عن حماها بعيداً
تَخذَ القلب نحو مصر سبيلا

ولقد وجدها على غير ما تصورها، فعاد يحمد منها ما ذم :

كنت ممن رموك بالنكر لكن
عاد صوت النكير قولا جميلا

صانك الله من صروف الليالي
وتناءت عن جانبيك قفولا

وفي مصر لم ينس أصحابه القدامى في بلده ، وأهل وداده من لدات الشباب، وإخوان الصبا فكتب اليهم ( ١٩٣٨ ) يقول :

آه من مهجتي ومن حر قلبي
زاد وجدي في يقظتي ورقادي

يا أهيل الوفا تحية قلب
قلبته نار الجوى والبعاد

إن هجرتم ففي حناياه باك
أو وصلتم ففي الجوانح شادي

ولقد قال في الوصف والحنين مقطعات صغيرة ، ان دلت على شيء فعلى معاودة الحنين له ، وانشغاله دائما بذكر أحبته وأهله ودياره ؛ وخير ما يقال في وصفه ، أنه وصف يعتمد الصورة بالدرجة الاولى ، الصورة الحية التي نجدها عند شعراء الطبيعة وخاصة في الاندلس كابن خفاجة الاندلسي ، وهي صورة ناطقة لانها استعارة لطيفة كما في قوله يستعير للماء عيونا دامعة ، فالدولاب يبكي ، والماء دمع يسقي ، وليس الدولاب هنا الا نواعير حماة التي عرفها ، يقول :

**النهر يخترق الرياض وقد جرى حلوا وعذبا**
**دولابه يبكي ويسقي الدمع فاكهةً وأبا**

وتلمح الاستعارات التالية في قوله :

قد جرى الريح في الرياض عليلا
وغدا الغصن زاهيا مختالا
وتجلت شمس السماء مليكاً
يملأ الكون هيبة وجلالا
فالريح يجري كأنه إنسان ،
والشمس تتجلى كأنها ملك

وكذا في قوله :

هب فيها النسيم يسحب ذيلاً
يؤنس الروض فاتراً وعليلا

ومن تشبيهاته اللطيفة قوله :

وأغصان تميل بالأزاهر
كما مال العذارى بالغدائر

وأما حنينه فلوعة صادقة ، تدل عليها هذه الالفاظ :

يا أخلاي ، ويا أحباي ، ويا أهيل الوفا ،

وقوله : إيه ياصحب ، والتعابير المشفوعة بالتمني :

ليت التداني عائد
فنذوق من شهد جناه
آه لو دمت لي ودام زمان
كنت فيه عن اللغوب قصيا
ليت شعري يامصر هل ثم عود
بعد بعد وهل أنال وصولا
أنني أرى ذاك الحمى
إني رأيت البعد صعبا

والدعاء الدائم بالرحمة والسقيا والرعاية :

يرحم الله عهدنا الذهبيا
وزماناً مضى وعيشاً هنيا
رعى الإله بقاعاً طاب مربعها
فيها حَييت وفي جناتها داري
سَقياً لدهر مضى والأنس يجمعنا
وينجلي البدر مخفوفاً بأزهار
رعى الله الليالي آنساتٍ
بقربكم وحياها القدير
يا رعى الله ما وقفت عليه
حين أن نلت بالهنا المأمولا

## الرثاء

ليس الرثاء إلا الجانب الآخر للمدح ، فهو مدح ولكن من نوع آخر ، لأنه مدح الميت ، وفي رثاء الشيخ نلمح هذا النوع ، ولكن دون مبالغات الشعراء المعروفة ، بل هو يمدح الرجل بما كان عليه في الحياة ، ثم يستخلص العبرة من الموت ، موشحاً كل ذلك بالحكمة التي تقر ، بحكمة الله العلي الذي له المراد في عباده . وقد يعجبك

مثل قوله هذا :

رضينـــا بما قد خطه قلم القضـا
ولولا الرضا ، ضاقت بنا سعة الفضا
عزاءَ قلوبٍ ناضجـات من الأسى
لفقدك ، أن العيش كالبرق أومضـا

لما فيه من التسليم بقضـاء الله والرضا الكامل به ، ولولا ذلك لمـا وسع الانسان أرضٌ ، ولضـاقت عليه أقطارها وربما قال الـرثاء على لسان احد اخوانه وقد قال في مصر سنة ( ١٩٤٠ ) : « قلت رثـاء على لسان أحد إخواني يبكي صديقاً له مات ، اسمه عبد الله » ، وهذا يذكر بقول الشريف الرضي :

وابْكِ عني فطالمـا كنت من قبـ
ـلُ أعيـر الـدموع للعشـاق
مع فارق المقام والباكي والمبكي ،
قال الشبيخ :

لقـد نعمت روحي بروحك حقبـة
ومـا بيننـا من نكـرة وفـروق
وها هو حزني مذ ثويت مصاحبي
وإنيَّ بالبسـلوان غيـر حقيـق
سقى الله قبراً أنت فيه موسـد
وجادك غيث الفضل كلَّ شروق

أما رثاؤه الحقيقي فنقـرأه فـي قصيدته التي رثى بها أخاه الشاعر بدر الدين الحامد ( ١٩٦١ ) فقال :

يا لهـا ليلـةً كوتني بنـاري
طـالعتبي بأسـوأ الأخبـار
غاب فيهـا بدر فطال سهـادي
وتوارى أنسـي وشـب أواري
لهف نفسي عليه أمسى وحيـداً
ولقـد كـان نزهـة السـمار

ولا ينسى أن يذكر رعايته له بعد وفاة أبيه :

كنت في حجـره صغيراً يتيمـاً
فرعـاني رعـايـة الأبـرار
حـاطني من حنـانه بإطـار
وبـه انجاب غيهب الأكـدار
ولقـد كـان ذا جنـان رقيق
بسـوائي وتلـك حـال الخيار

ثم يرجو له الخير في الـدار الآجلة :

أمّلِ الخير والرضا ، أنت عبـد
مؤمـن بالعـلي ذي الإقتـدار
عالقٌ السر بالرسول أمين الـ ...
ـله ذي الفضـل أحمـدَ المختـار

ويدعو الله بحرقة ، طالباً لـه الرحمة :

رب فارحمْ بـدراً وعامل بلطف
منك عبـداً أفضى لـدار القـرار
واجعلنه في جنة الخلد جـذلا
ن فـأنت العفـو أكـرم جـار

ومما عرضناه من رثائه ، نجـد أنه رثاء صادق اللوعة ، كثير التحسر على الفقيد ، ولكنه تحسر معتـرف بقضاء الله ، موقن به ، لا يشكو ولا يعتب ، وإنما هي زفرات يضيق الصدر عنها ، فيبثها الحزين أبياتاً من الشعر تنفس عنه كربه ...

**تغزله :**

لن نعجب إذا وجـدنا للشـيخ غزلاً ، فهو رمـز عند شـعراء المتصوفة ، يحملونه ما يحسون بـه من وجد لا يستطيعون التعبير عنه

باللفظ الصريح ، وأرى غزل الشيخ من هذا النوع ، وقد قاله في مصر عام ١٩٣٩ بعد اتصاله بالشيخ أبي النصر ، وقد قال في مقطوعة:

لعمرك ما المحب أخا امتناع
إذا ناداه من يهوى أطاعه
حبيب الروح إما شاء أمراً
رآه المدنف المضنى متاعه
لدى هذا الحبيب دمي وروحي
فياويلاه إن شاء الإضاعه !!

وفي قطعة أخرى يقول :

يحرّق الشوق في فؤادي
ونار حبي لها لهيب
وقد أضر الهوى بروحي
وأنت يا سيدي الطبيب
ألا حنان على غريب ؟!
تالله ، ولهانكم غريب
ولو رحمتم بكاه يوماً
لنزال بأس وزار طيب

**الدعابة الأدبية :**

اجتماع العلم الوافر ، والجد الصارع ، والبحث الدقيق الى الروح الزكية ، والفكاهة البارعة ، والحس اللطيف ، شيء نادر في تاريخ الإنسانية ، ولقد اجتمع هذا لشيخنا الكريم ، فقد كان له فكر يطرب للفكاهة ، ويعجب بالبداهة ، مع دعابة لطيفة ، وملحة مستحبة ، ويظهر لك هذا إذا قرأت شعره في الهرة التي ألفته في دار العلم بحلب ، وقد ذكرها بقوله : « ألفتني هرة وكنت أشعر بشفقة عليها ، فولدت في هذه الأيام ثلاث قطط صغيرة ، فقال الأخ الكريم الشيخ سعيد المسعودي البابي مهنئاً لي بذلك :

يهنيك هرتك البيضاء قد ولدت
خير الهريرات من خير الهوارين
عاشت برغد وعاشوا حامدين لكم
لا زلت كنزاً وذخراً للمساكين

فقلت مجيباً له :

وهبتك الهرة البيضا وما ولدت
خلص فؤادي وقلبي من شياطين
فكن لهم محسناً براً وإن فعلوا
ذنباً ، فدونك ضرباً بالسكاكين

وله في هجاء الذباب مقطوعة لطيفة ، يقول فيها :

قبحت من طير يقوم ويرتمي
فوق الموائد بالوقاحة منعلم
يا أثقل الثقلاء حسبك ما مضى
وكفاك شرباً وامتياحاً من دمي
أرقتني وحرمتني طيب الكرى
بشنيع طنات وسوء تهجم !

أما الدعابة الكبرى التي شهر الشيخ بها ، فهي قصيدته الموسومة بالفول ، قالها في مصر ( ١٩٤٠ ) ومن المعلوم أن مصر تمتاز بهذه الأكلة الشعبية ، ولطالما سمعت الشيخ في درسه ، يذكر هذه القصيدة ولكنه لم يعد يتذكر منها شيئاً ، فنسمع بها ولا نسمعها ، الى أن وقعت عليها في إحدى مفكراته ، ويقول فيها :

ألا يا محب الفول ، أصغ لقولتي
فقد عاد هذا الفول موضع فتنتي
يستهل لعابي إن شممت عبيره
ويخذلني صبري وتضعف قوتي

أما العجيب فهو هذه النصيحة !!
ألا يا محب الفول ! خذني مربياً
وكن سامعاً قولي مُجلاً نصيحتي
وإنك إن تأكله كل صبيحة
تر الخير سحاً في الضحى والعشية
فكله بليمون وزيت طحينة
وثوم وفجل واصطحبه بشطة

وأعجب منها هذه التحية المعطرة بعبق الفول :
عسى قدرة الفوال يعبق ريحها
فيظهر فضل الفول في كل بقعة
وأنتم أهيل الفول أزكى تحية
لكم ، من فؤاد عامر بالمحبة !!

لقد ذكرت هذا الجانب من شعر الشيخ لاستكمال البحث وأرجو ألا يسيء الظن به أحد أصحابنا ، فللشيخ مقام كبير محترم ، ولكن النفس الإنسانية أيضاً ، لها جوانب كثيرة متعددة ، ويبقى الانسان دائماً ذلك الكائن العجيب المجهول .

**خصائصه الفنية :**

مما لا يخفى أن الشعر العربي يتنازعه مذهبان فنيّان منذ القدم ، أولهما مذهب الطبع ، وثانيهما مذهب الصنعة والتصنيع ، وللأول أعلام ومنهج ، أما منهجه فهو ترك النفس تعبر عن أفكارها بحرية دون أن يعيق اندفاعها شيء من التعمل اللفظي والفكري الذي يتمثل في البديع الذي يشمل الجناس والطباق والاستعارة وغيرها من محسنات لفظية ومعنوية ، ومن التعمل الفكري الذي يبدو في تعقيد المعاني وغرابة الأفكار ، ومذهب الشيخ في الأدب مذهب وسط ، بل هو الى مذهب الطبع أقرب ، فشعره سلس صاف ، يجري بدون توقف ، يتقبله السمع ولا ينبو عنه الذوق ، وارجع إن شئت الى النماذج التي عرضناها من شعره ، أو المختارات التي جمعها ابنه في ( القطوف ) . تجد أن أهم صفة من صفاته هي السهولة ، فكأنه البحتري في ديباجته الرقيقة ، وموسيقية ألفاظه التي تظهر في انتقاء الأبحر الموسيقية كالخفيف والمتقارب والكامل ومجزوئه ، الى جانب موسيقا داخلية من جرس الحرف والكلمة ، عندما تتجمع ليتكون هذا المزيج العذب من السحر الحلال ، وإن بدا في شعره شيء من التجنيس والتطبيق والاستعارة والتشبيه ، فذاك عرضٌ بل هو شيء جرى مجرى الطبع لا لتكلف ، فلا يطلب الجناس لذاته ، ولا يطابق لمجرد المطابقة ، ولا يتكلف في الاستعارة ، ولنتقرّ شعره ، عسى نجد شيئاً من هذه الفنون المحسنة للشعر ، فأول ما نرى من تجنيسه هذه الأبيات :

وعذاب التبريح يلقاه عذباً
وعناء الهوى فلاح ورشد

من تسامى لـه العلا وترامى
نحـو أعتابـه فؤاد المنيب
يمم حمى وادي حماه
واقض اللبانة من هواه
سرنا نرومك أنطاكية الروم
ونبتغي حسن منظور ومشموم
يا أهيل الوفا تحية قلب
قلبته نار الجوى والبعاد
فرقت بيني وبين عقلي
يفرقة منك يا حبيب
ولو رحمتم بكاه يوماً
لزال بأس وزار طيب

والشطر الأخير فيه مطابقة أو مقابلة بالاضافة الى الجناس بين زال وزار وهي قوله : زال بأس ، وزار طيب . ومن مطابقاته أيضا :

كلما لاح بارق برجاء
عرض الحظ عابساً بقطوب
خليلي ما فوق البسيطة كلها
ولا بين أحبابي على القل والكثر
آها على تلك الربو
ع وأهلها بعداً وقرباً
آه من مهجتي ومن حر قلبي
زاد وجدي في يقظتي ورقادي

وخير مقابلاته قوله :

إن هجرتم ففي حناياه باك
أو وصلتم ففي الجوانح شادي

وله استعارات لطيفة منها قوله :

النهر يختـرق الـريا
ض وقد جرى حلواً وعذباً
دولابه يبكي !! ويـ ..
.. ـقي الدمع فاكهة وأبّا
قد جرى الريح في الرياض عليلا
وغدا الغصن زاهياً مختالا
وتجلت شمس السماء مليكاً
يملأ الكون هيبة وجلالا
الشوق يحدو بنا والحب يدفعنا
وفي جنانك تفريج لمهموم

وعنده من مثل هذه التشبيه شيء :

وأغصان تميل بالأزاهر
كما مال العذارى بالغدائر
حبيبه قد ملأ الفؤا
دفصرت من أشباه عذره

فالبديع عند الشيخ بديع قريب غير متكلف ولا متعمل ، يجري مع الطبع ولا يمجه الذوق ، وإن كان قد وشىّ شعره بثياب ملونة حسنة .

وقد يخطر في البال سؤال ؟ هل كان الشيخ يعمل فكره في النظم أم يترك نفسه على هواها ؟. الذي لاحظته في المفكرات أنه يكتب عفو الخاطر وربما خطر له إقامة كلمة محل أختها أو غير تعبيراً بآخر ، هذا في عهده الأول ، ولكنني وجدت في الورقة التي كتب فيها قصيدة الرثاء في أخيه الشاعر ، وجدته قد وضع مخططاً كما يلي :

١ ـ وصف لنفسيته المخلصة لأمته .

٢ ـ غلبة الرحمة عليه وانطواؤه على نية الخير للقريب والبعيد .

٣ ـ آثار هذا كله واضح في شعره ، تهافتاً رحيماً ، وغناء

لأمته ، ضحكاً تارة ، وبكاء مرة ، ورثاء لها أخرى .

وكان هذا في أخريات أيامه ، مما يدل على أنه صار يضع للقصيدة مخططاً ، إن لم يكن على الورق ففي فكره على الأقل ، وهذا على عكس حاله الأول يوم كان في حلب وفي مصر ... ومع هذا ، فإن شعر الشيخ سهل يجري مجرى الطبع ، يروق في السمع ، ويطرب له الفؤاد ، لأنه خرج عن معاناة حقيقية ، وصدق في العاطفة والتعبير ، ودافع شعوري فياض ، مع شاعرية عذبة متدفقة .

**ذوقه النقدي :**

نتكلم أولاً عن ذوقه العام ، الذي يتمثل في إعجابه بالشعر القوي التعبير ، الصادق اللهجة ، وطربه لإنشاد المنشدين في المساجد ، وحفظه للأبيات الشاهدة وهذا سندل عليه في باب ثقافته ، أما تذوقه ، فقد جر الى الكلام عنه ما أذكر عن صباحيته الثالثة التي أقيمت بعد وفاته — رحمه الله — في المسجد الجديد بحماه وقد صادفت يوم جمعة وكانت تقام في المسجد وقتها ، مجالس للصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأذكر أن المنشد قال هذه الأبيات ، لعلاء الدين بن مليك الحموي :

ذكر الغضا فحنت عليه أضلعي
وبكى العقيقَ فساقطَتْه أدمعي
من لي بقلبي يوم كاظمة وقد
ودعتهم لو خلفوا قلبي معي
رحلوا فكان القلب أول راحل
والصبر آخرَ ظاعن وَمودع
يا عاذلي خفض عليك ولا تلم
فلئن عذلت عذلت من لم يسمع
والله لو قطعوا بأسياف الجفا
قلبي فمنهم لست أقطع مطمعي

فانطبقت تلك الأبيات على تلك الحال ، وصرت تسمع النشيج والبكاء في جنبات المسجد ، والحقيقة إن تلك الأبيات مما كان ينشد من قبل ، فلم تثر ما أثارته في ذلك الحين ، ولقد كان الشيخ رحمه الله يتذوق مثل هذه الأبيات ويستسيغها ، وكم مرة شاهدته يجلس في الجامع الجديد بين العشاءين ليلة الجمعة ، يستمع للمنشد الشيخ عبد الرحمن الحامد الخياط وكان يطرق منصتاً مستمعاً متذوقاً ، وربما أعجبه أبيات من شعر السيدة عائشة الباعونية الدمشقية التي كان ينشد الشيخ الخياط من شعرها ، قولها :

سعدُ إن جئت ثنيات اللوي
حي عني الحي من آل لؤي
وبشرح الحال فانشر ما انطوى
في سقام قد طواني أي طي
في هوى أقمار تم ، نصبوا
حسنَهم ، أشراكَ صيد للفتَيْ
عرب في ربع قلبي ، نزلوا
وأقاموا في السويدا من حشي

ولقد يقدم المنشد أبياتاً ويؤخر أبياتاً ، فينبهه الى ضرورة ذكرها

متسلسلة ليستقيم المعنى ويتم التذوق ، وسمع منشداً بالموشح الديني المشهور :

لما حبيبي سرى
ليلا لئلا يرى
طلبت أن أنظرا
فقال لي : لن

فجعل المنشد الفعل ( يُرى ) المجهول فاعله ، فعلاً معلوماً فنبهه الى ذلك ، وغيرها كثير ...

وربما أعجبته أبيات يجدها على جدران مسجد المسعود بحماه سنة ١٣٤٧ هـ ، فينقلها ، وهي من نوع المسمطات المخمسة :

أيا قمراً في مطلع الحسن دائبُ
ويا شمسَ نورٍ ما لها قط حاجب
ويا سيداً منه العطا والمواهب
إليك ، وإلا ، لا تشد الركائب
وعنك وإلا فالمحدث كاذب
لئن شرب العشاق من كل مشرب
وهاموا غراماً في سليمى وزينب
فإن هيامي في هواك المحبب
وحبك يا خير النبيين مذهبي
وللناس فيما يعشقون مذاهب !!

وقد ينتقي أبياتاً للشاعر العباسي أبي تمام في مدح أحمد بن المعتصم والتي أولها :

ما في وقوفك ساعة من باس
نقضي حقوق الأربع الأدراس

أما تذوقه الأدبي الخاص ، فيتجلى في نقده وردوده الكثيرة على الشعراء مصححاً وهمهم وأخطاءهم في جريدة ( الفداء ) وغيرها . وللشيخ في ميدان الشعر بخاصة ، نظرات نقدية صائبة ، أقامها على ميزان دقيق خضعت له ، كما خضعت جميع نظراته الى الحياة والكون والانسان ، فخرجت نظرته النقدية ملفعة بثوب النظر الاسلامي للأمور ، نظرة عربية سليمة لها روح البداوة المسلمة ، ولقد يشدد على الشعراء في خروجهم على قواعد الذوق الديني في شعرهم ، وإن كان يسوق عباراته في نقدهم لطيفة سلسة مقبولة ، يشفع لها روح مرح ونصح صادق ، ومحبة الجميع له . من ذلك ، رده على الشاعر محمد الحريري الذي ألقى قصيدته في الذكرى الخامسة للشاعر المرحوم بدر الدين الحامد ووصف فيها الشعراء الملهمين وشبههم بأنهم في كل واد يهيمون ، وتعرض لآياتهم في سورة الشعراء ، فرد عليه الشيخ بقوله : « شاعرنا الأصيل الحريري ، أسعده الله وبارك عليه ، الآيات الكريمة في الشعراء ، تخص بالثناء الذين آمنوا وعلموا الصالحات وهي كما ترى « **والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** » ، فلتكونوا من هؤلاء ، لامن

الهائمين التائهين ، قادة الغاوين ، فإن مسباق الآيات متجه الى ما لا يصح العدول عنه ولا المحيد عن هدفه ، والقرآن الكريم هو الفيصل الصادق ولا شأن للعاطفة الثائرة تلقاءه ، ـ ولننتبه الى هذه العبارة التي تدل على شاعرية الشيخ ـ وإني ليعروني من بعض الشعر المقيم المقعد ، لكنني أخمد فورة العاطفة بقواطع الحق المبين فإذا هي مكبوحة الجماح ملتزمة حدود الله ، وصدق الله في قوله الحكيم : **( تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون )** (٢) .

هذا مثال من كثير ، ولولا خوف الإطالة لذكرت غيره ولكني أحيل الى مقال الاستاذ منذر شعار في عدد الفداء الصادر بعد وفاة الشيخ بيومين ، ذي الرقم ( ٢٢٥٦ ) والتاريخ ١٩٦٩/٥/٩ .

وله أيضاً نظرات بالنسبة للاستشهاد بالشعر في الوعظ في كتابه القيم ( ردود على أباطيل )(٣) .

وفي الكتاب أيضاً ردود على بعض الشعراء ، بعنوان ( الدهر لا يجرم ) وفيه يرد على بعضهم الذي يقول :

حَنانَيك رايات العروبة رفرفت
ستمحو من الأقدار ما الدهر أجرما؟

وهو رد علمي أدبي ديني ، خلاصته : أن القدر لا يمحى لأن الله علم ما سيكون قطعاً ، وأن الدهر ظرف زمني للحوادث الناجمة عن التقدير الإلهي الأزلي ، وإن كنت أنبه الى مراجعة الجواب كاملاً في الكتاب (٤) .

وله نقد طريف حول بيت لأخيه في الشيب يقول فيه :

يا بياض المشيب سودت وجهي
وجعلت الإيناس مني كآبه

والقصيدة منشورة في الزائد العربي التي كانت تصدر في حماه ، وأما رده فلم يتيسر لي الحصول عليه .

وما تقدم كان كلاماً في الشعر ونقده ، فهل كان للشيخ نثر أدبي ؟ في الواقع إن كتابته كلها ، أدب خالص كما يقول الاستاذ الشعار في مقاله السابق المشار اليه تحت عنوان ( الشيخ محمد .. أبداً ) : « وكان ربما كتب في نقد قصيدة فيبدع ، وثمة الدين والأدب معاً » ...

---

(٢) جريدة الفداء العدد ( ١٤٨٤ ) ٢٦ تموز ١٩٦٦

(٣) الطبعة الأولى ( ص ١٧ )

(٤) المصدر السابق ( مسائل القدر )

وتجد هذه الخصيصة فيه ، إذا قرأت كتابه في الردود وبخاصة مقالته المعنونة ( نصيحة للشباب ) (٦) :

طريق السلامة معبدة لا زلل فيها ولا زلق ولا عوج ، بل ان ليلهـــا كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك كما جاء في الحديث النبوي الشريف ، والاعتقاد الحق هو الأصل الأصيل ، وهو الركن الركين وهو الأول الأول ، والعمل الصالح يقع ثانياً في المرتبة ... الخ ... ومثلة المقـالة المعنونة ( القرآن الكريم ، كتاب هدايـــة وإرشاد ) في الصفحة ( ٣٢٣ ) .

وقد نجد مثل هذه النفحـــات الحجازية الصافية في أجوبته على مجلة الحضارة عندما حل ضيفاً عليهـا ، وبخاصة جوابه الذي قاله ردا على هذا السؤال :

كيف يجب أن تكون تنشئة الجيل المسلم ؟. فقال : « ان صحبة الأخيار من العلماء العاملين أصل أصيل في سريان الحال الصالحة الى مصاحبهم فمن جالس جانس والقـرآن الكريم ينادي بقوله تعالى ( يا أيها الـــذين آمنـوا اتقـــوا الله وكونوا مـــع الصادقين ) ..

**ثقافته الادبية :**

لست في معرض الكلام عن ثقافته العامة فهي واسعة خصبة والـــذي يعنيني هنا هو ثقافته الأدبية ، وهي تتمثل بحفظه شعراً كثيراً وخاصـــة الأبيات الشواهد في النحو والبلاغة ، وربما جاءه هذا من دراسته الأزهرية ، وربما طال البحث لو سردنا الأبيـات والمقطعات التي كان يستشهد بها ، وما أظن الحديث عنه يمل ولكن لـه حـــدوداً ، وسأورد بعض ما كنت أسمعه منه في دروسه ، غفر الله له ، يقول في الشواهد العامة التي تـدل على الحكمة :

لا تسأل المرء عـــن خلائقـه
في وجهه شاهد مـن الخبـر
إن لله في العبـــاد مـــراداً
وسـوى مـــا أراده مستحيل
إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن
على قومه كلاً فقد كمل الفتى
عـــرفت الشـــر لا للشـــر
لـــــكن لتوقيـــــه
ومـــن لا يعـــرف الشـــر
مـن الخـــير يقع فيـــه !!

وكان يردد قول الإمام علي كـرم الله وجهه ، يردده كثيراً :

فإن تملك القلب الزكي وصارماً
وأنفـاً حميـاً تجتنبك المظـالم

وكنت أسمع منه قول أبي تمـام في ابن المعتصم ، وكان يرددها كثيراً ، وقد يستشهد بهـا على كلمـة ( الوسواس ) .

---

(٦) ردود على أباطيل ( ص ٣٢٩ )

يقول أبو تمام :

إن المنازل ساورتها فرقة
أخلت من الآرام كل كناس
من كل ضاحكة الترائب أرهفت
إرهاف خوط البانة المياس
وإذا مشت تركت بقلبك ضعف ما
يحليها من كثرة الوسواس !!

وقد يورد أبياته المشهورة وقصته المعروفة مع الكندي الفيلسوف دالاً على تحرق الشاعر وكان يقول : هذا شاعر تأكل روحه من جسده ومات شاباً ، والأبيات معروفة :

أبليت هذا المجد أبعد غاية
فيه وأكرم شيمة ونحاس
إقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء إياس

فاعترضه الكندي ، فقال بداهة :

لاتنكروا ضربي له من دونه
مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلاً من المشكاة والنبراس

وكان يستشهد بشواهد نحوية مثل قول البرج التميمي :

وماذا عسى الحجاج يبلغ جهده
إذا نحن جاوزنا حفير زياد ؟؟

أو قول الآخر :

أيان نؤمنك تأمن غيرنا وإذا
لم تدرك الأمن منا لم تزل حذرا

وقوله :

بعشيرتك الكرام تعد منهم
فلا ترين لغيرهم ألوفا

وله في شواهد البلاغة ( الجناس ):

كلكم قد أخذ الجا
م ولا جام لنا

ما الذي ضر مديرَ الـ .....
.... جام لو جاملنا ؟

وقد يتفكه بمثل هذه التورية اللطيفة :

كان ما كان وزالا
فاطرح قيلاً وقالا
أيها المعرض عنا
حسبك الله ( تعالى )

وقد يستطرد من بحث إلى بحث لا يَمَل ولا يُمل ، وقد يُفرِّعُ من درسه النحوي الخاص طرفاً أدبية وملحاً مستحبة فيذكر قول الشاعر :

أنت الحسين ولكن
جفاك فينا يزيد
خلق الله للحروب رجالا
ورجالاً لقصعة وثريد ؟!
وكنت فتى من جند إبليس فارتمى
بي الحال حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحسنت بعده
طرائق شر ليس يحسنها بعدي

وهذه التورية النحوية اللطيفة :

وآلى لا يروم الصرف إلا
إذا منكم تحلى أو أضيفا

وخاتمة ما نقوله في أدب الشيخ ، أنه أدب صادق ولن نطلب من الشاعر أكثر من الصدق ، الفني والعاطفي ، وهذا يناقض قولهم : أعذب الشعر أكذبه وقول الأصمعي : الشعر نكد

كله ، فاذا دخل في باب الخير ضَعُفَ ولان » وقد يكون لقولهم نوع من الصحة في المبالغة في الصور والغلو في التشبيه، والتعقيد في الاستعارة، أما العاطفة ، فما يمنع أن تكون صادقة ؟ وهي عند الشيخ صدق منبعه رهافة الحس ووفرة الشعور والتزام الصدق في كل شيء ، أما رهافة الحس فلقد سمعته مرة يقول ما معناه : إنني أتأثر من النظرة ، وقد تجرحني ، ووفرة الشعور ، كان صداها هذا الشعر المعبأ بشحنات من عاطفة الحنين في اغترابه ، وشوقه الى أحبابه ، والصدق في حبه بلده وكل مكان قضى فيه عمراً ، وأحبابه ومشايخه ، فهل كان شعره ليناً ضعيفاً لأنه كان صادقاً ؟

لا أعتقد ، وبين أيديكم شعره ، فانظروا والمسوا لفحة الصدق في كل بيت ، وكل كلمة قالها ، تغمده الله بالرضوان ، فهو الفطرة الصافية والطبع السليم ، والفيض النوراني المتدفق ، لا يقف دون كلمته حاجب أمام القلب لأنها تخرج من القلب ، مطبوع على البيان العربي الأصيل الذي تربى عليه بعد حفظه القرآن الكريم فتياً ، فسالت الكلمة الشفافة المعبرة، على لسانه بلا كلفة ولا تزويق ولا تعمل ، فخرجت قوية النبر ، ساطعة الفكر ، لطيفة المسرى لكأنها السحر ، والسحر عنها بعيد ، أو الرحيق السلسل الصافي ، إن كان للرحيق معنى يستفاد أو فكرة تكتسب !! ولقد لازمناه — لا كما تكون الملازمة — زمناً ليس باليسير إن عدّاً ولا بالكثير ، وصاحبناه ، على حين كنا مشغولين بالدراسة فتعلمنا منه أشياء كثيرة ، وطبعنا على سجايا غرسها في نفوسنا ، وإن أسفنا على شيء فأسفنا لشديد على كل لحظة مرت ، لم نسعد فيها برؤيته ، أو تهاوننا في حضور مجلسه ، أسف لا ينقضي على زمن شغلنا به عنه ، فما قدرناه قدره ، ولا وفيناه حقه كما لم نوف أنفسنا حقها .

**وبعد :**

فقد أرى أن هذه الدراسة متسمة بطابع العجلة ، ولي العذر بذلك ، فإن مشاغل الفحوص قد شغلتنا عن إيفاء هذه الدراسة حقها ، ولقد اقتطعت من وقتي سويعات كتبت فيها شيئاً عن أستاذنا الشيخ المرحوم، فحقه علينا جميعاً كبير كبير، وواجبنا تجاهه لا يقوم بهذا الحق ...

فياسيدي : عفوَ البيان إن قصر عن بيان فضلك وعفو الكلمة إن لم توف حقك كاملاً ، فما زال هناك مزيد لمستزيد ، والسلام عليك يا سيدي سلاماً ، مبعثه القلب ، ورحمة عليك من الرب الكريم ، الذي وعد الصالحين والصديقين بالمراتب العلية في جنان الخلد، وإننا — إن كان للأسى مواضع — فللصبر موضع ، وذاك قوله تعالى :

« الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا اليه راجعون » ، والعاقبة للمتقين ، ويا سيدي :

أسكنك الله فسيحَ الجنانْ
فقد قضيت العمرَ عفَّ اللسانْ
تذكرُ أو تشكرُ أو ترتجي الـ
ـرحمنَ والقولُ دليلُ الجَنانْ

# تعليقات الاستاذ الشيخ محمد الحامد على كتاب
# التربية الاسلامية للصف الثالث الثانوي

لقد ولّد حرص فقيدنا الشيخ محمد الحامد رحمه الله على الذود عن كيان الشريعة ملكة معينة جعلته مرهف الحس شديد الحذر عند القراءة ، حتى لايكاد يخلو كتاب جديد يطّلع عليه من تعليق على بعض أفكاره أو تصويب لبعض مايرى من أخطاء . ولقد حظي كتاب التربية الاسلامية للصف الثالث الثانوي بمجموعة طيبة من التعليقات التي وضعها يوم كان مدرساً للمادة في ثانويات حماه . وترى المجلة وفاءً للعلم وتخليداً لذكرى الفقيد أن تقدمها للقراء فيما يلي مرتبة على الصفحات والاسطر كما هي في الكتاب نفسه .

| ص | سطر | |
|---|---|---|
| ٩ | ٧ | الدين الاسلامي هو الدين الرفيع الذي طلب الله الى الخلق كلهم اتباعه واعتناقه فهو وحده السامي فوق الغرض والهوى فيجب توفية المسالمين والمعاهدين حقوقهم ويجب حسن المعاملة لهم . |
| ١٢ | ٢ | هذا في بيع السلم . |
| ١٢ | ٦ | كالاحتكار مثلاً وكتلقي الركبان الحاملين للسلع ليستقل بها ويحرم غيره ، وكتعدي أرباب البياعات في الربح تعديا فاحشاً فيسعر الإمام تسعيراً معقولاً بمشورة أهل الرأي على القول بالتسعير . |
| ١٨ | ١١ | اعتقاد بالله ، لكنهم خدشوا اعتقادهم هذا بالشرك . |
| ١٩ | ٢٤ | إنما قالوا هذا لما استناروا بنور الاسلام الذي أشرق على بصائرهم وبدد ظلمات الشرك والوثنية من أنفسهم . |
| ٢٠ | ١٠ | لم يكن لهم دليل مقنع فإن واقع الحال أنهم مع جمودهم على تقليد آبائهم وأجدادهم كانوا متعصبين للوثنية أشد تعصب ، والقرآن نطق بهذا مخبراً به عنهم « أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » فالإسلام هو الذي أخرجهم من الظلمات الى النور بنبيه الكريم عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم ، ويدل لشدة تعلقهم بالأوثان سجودهم لها وحلفهم بها وتقربهم إليها بالقرابين والنذور وما إلى ذلك من الأباطيل . |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٨ | ٤ | وبذلك جعل الاسلام العقل حكما : أي مدركا فاهما لا أنه الموجب ( إن الحكم إلا لله ) . |
| ٢٨ | ١٢ | نص قطعي : وظني أيضاً فإن الحديث الصحيح مقدم على الاجتهاد والقياس ، ومثله الحديث الحسن ، بل إن الإمام أبا داود ذهب الى أن الحديث الضعيف مقدم عنده على آراء الرجال من العلماء . |
| ٢٩ | ٢١ | المراد من الإيمان في الآية مجرد الإقرار بوجوده سبحانه من غير تصحيح له . إذ لا صحة للايمان مع الشرك به عز وجل . |
| ٣٠ | ٤ | العبادة لا تنبغي إلا لله عز وجل ولا يصح الخلط في هذا المبدأ السامي فعبادة المثل غيره سبحانه عبادة باطلة عاطلة . |
| ٣٢ | السطر الأخير | : اعتقالك هواك هو الذي يزيح الغشاوة عن فكرك فتعقل الحقيقة الناصعة حين تبدو لك بعد أن نبذت شهوتك وهواك اللذين يخفيانها عنك . |
| ٣٣ | ١٣ | تعذيب النفس وإتعابها مع إمكان التخفيف عنها بالمباح . أما تخليص القلب من حب الدنيا ومن الركون اليها فمطلوب طلباً أكيدا . |
| ٣٤ | ٢١ | المرافق العامة : مصارفها ثمانية محصورة في آية المصرف . والدولة تتولى جمعها في خزانة خاصة ثم وضعها في مستحقيها . |
| ٣٥ | ٣ | لا تناقض بين هذا الحديث وبين قوله عليه وآله الصلاة والسلام : ( ليس في المال حق سوى الزكاة ) فانه محمول على ما إذا لم تقع شدة والأول محمول على ما اذا وقعت . |
| ٣٦ | ٤ | جزءا من الايمان : أي الإيمان الكامل وهو اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان . |
| ٥١ | ٢ | لكن له عناية بعلوم الدين ليس للأخرى مثلها فقد أوجب الأولى إيجابا عينيا على كل مسلم ومسلمة ففي ( طلب العلم فريضة على كل مسلم ) أي ومسلمة لأنها مكلفة كما هو مكلف . |
| ٥١ | ٣ | باطلاق ، العلم عند الإطلاق ينصرف إلى العلم الديني في عرف الشرع الإسلامي الحنيف . هذا مع أنه لا يمنع تعلم علوم الدنيا التي تغنينا عن عدونا بل هي مطلوبة بهذا الاعتبار طلباً كفائياً . |
| ٥١ | ١٠ | لكن الأولى أن يأخذها عن الصلحاء لما ورد عن ابن سيرين ( إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ) |
| ٥١ | ١١ | طلب العلم : يراد به العلم الديني الذي تحصل به سلامة اليقين وصلاح العمل . |
| ٥١ | ١١ | ومسلمة : هذه الزيادة ليست من أصل الحديث الشريف وإن كانت صحيحة المعنى . |

| | | |
|---|---|---|
| ٥١ | ١٢ | ( يوزن مداد العلماء يوم القيامة بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء ) . |
| ٥٢ | ٧ | في التعبير هنا تسامح لأن العقل ليس إلا آلة للفهم والله تعالى هو الحاكم والى أمره وحكمه سبحانه المصير |
| ٥٣ | ١٥ | على كل ما سخر له : على ما يستطيع السيطرة عليه منها فقط وهو لا يقوى على سكانها من الملائكة لكن الملائكة أفضل من الفساق والعصاة . |
| ٥٣ | ١٦ | السموات غير النجوم التي زينها الله بها فإن المزيَّن غير ما به التزيين ، أيضاً فإن الله تعالى غاير بينهما فقال : ( إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت ) . |
| ٥٤ | ١٠ | البصر : إنه طريق اليه إذ الفؤاد معطوف عليه والعطف يقتضي التغاير . |
| ٥٥ | ٣ | الفلك : الذي يجب تحصيله منها هو ما تعلم به مواقيت الصلاة ونحوها ، وما تهتدي به في ظلمات البر والبحر . |
| ٥٥ | ٣ | القضاء : الواجب منه ما يكون بمقدار ما نتقي به شر عدونا ونظهر به عليه . |
| ٥٥ | ١٢ | قلنا إن الفرق بينهما مقرر لأن الحض على طلب علم الدين أقوى منه على طلب علم الدنيا أيضا وإن كان هذا مطلوباً . |
| ٥٥ | ٢١ | ليس المراد منه القرب المتبادر بل المراد التأسي به سبحانه بنحو العلم وما إليه وان كان علمنا مكتسباً محدوداً فعلمه غير مكتسب وهو محيط فلابد من ملاحظة الفرق بين صفة الخالق جل وعلا وصفة المخلوق فلا تشابه ولا تقارب بين الصفتين . |
| ٥٦ | ٤ | في العصور الخالية : والحاضرة والآتية ففي الخبر الشريف ( الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ) وإنها ما تزال عمدة في جيوش الدول الى الآن والى ما يأتي . |
| ٦١ | ١١ | هذا من مشمولات التقوى إذا سير فيه على وجه شرعي : إذ هي فعل المأمورات وترك المنهيات والوقوف عند الحدود الدينية . فمعناها أعم من هذا الذي ذكره الكاتب . |
| ٦٤ | ٢٠ | الآية الكريمة واردة في الأخذ بأسباب سماوية إذ تمثل سرعة ذهاب الدنيا بعد تعلق الآمال بها بزرع علا ونما وصار الانتفاع به قريباً فاجتيح بآفة ماحقة . |
| ٦٧ | ١ | أي النوع المفضي منه الى الكسل والخور ، لا المشروع الذي يعني إخراج حبها من قلبه لأنها تعوقه عن السير الى الله تعالى إذا ملكه هذا الحب المذموم المقعد عن الواجبات . |

| | | |
|---|---|---|
| ٧٢ | ٥ | في هذا الكون : هذا إذا آمن واتقى وإلا فإن الله يقول : ( أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ) . |
| ٧٤ | ٥ | ( مولى ) هو بمعنى الحر هنا لأن أباه زيدا رضي الله تعالى عنهما أعتقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ولد أسامة على أصل الحرية . |
| ٧٥ | ٢ | قديماً : وحديثاً تتسع أو تضيق أو تنحط على نحو ما عليه من الضمير الاجتماعي والتقدم الانساني .. الخ . |
| ٧٦ | ١٢ | حد القتل : وهذا قصاص وليس بحد لأن الحد لا يصح العفو عنه : أما القصاص فيجوز لولي المقتول العفو عن القاتل عمداً إما مجاناً وإما بالدية . |
| ٨٢ | ٢١ | في كل حين : يجوز قتل العدو الكافر المحارب لنا . ويحرم علينا إعطاؤه ما فيه تقوية علينا . |
| ٨٢ | ٢٢ | والجرحى : يجوز الإجهاز على الجريح الكافر المحارب لنا . |
| ٨٣ | ٥ | الدوائر : للدولة الحق في منع المساعدات عن المحاربين لها المتربصين بالإسلام الدوائر . |
| ٨٦ | ١٣ | الأصول : الوحي جاء في الأمور الكلية والجزئية ، وما لم نجد نصاً لبعض الحوادث اجتهدنا في تعرف حكمه من نصوص الشريعة بالاستنباط والقياس وما إليهما . |
| ٨٧ | ٩ | ويضعون حكماً لها : أي يستنبطونه من النصوص أو من القواعد الدينية العامة . |
| ٨٧ | ١٨ | لا حياة فيها : في غير النصوص القرآنية والحديثية بل هي نصوص قوانينهم في ديارهم . |
| ٨٩ | ١٦ | في عهده : صوابه : في عهد عمر رضي الله تعالى عنه . |
| ٩٠ | ٢ | وأقيم عليه الحد : هذا ما عليه الشافعية ، أما الحنفية فيرون أن الحد لا يقام على الإمام ، لكن القصاص ينفذ فيه وكذا الحقوق المالية تؤخذ منه ، ولهم على هذا دليل هو ما روي عن العبادلة الثلاثة مرفوعاً وموقوفاً : ( أربعة الى الولاة : الحدود ، والصدقات ، والجمعات ، والفيء ) ولأن في إقامة الحد خزيا لمن يقام عليه ، ولا يخزي إنسان نفسه لأنه لا يخافها : وإقامة نائبه الحد عليه كإقامته هو على نفسه ، فلا يشرع . اهـ . هذه هي وجهة نظر الحنفية في هذه القضية فهي إذن ذات خلاف . |
| ٩٠ | السطر الأخير ٩ | أن يكون قرشيا للحديث الشريف : ( الأئمة من قريش ) وهذا إذا كانت البيعة اختيارية فإن كانت اضطرارية اكتفي بصفة الاسلام . |

جمع رحمه الله بين الوفاء والاخلاص ، كما جمع بين قلب الذاكر ووفاء العالم ، ونفس الزاهد وأحاسيس الشاعر وحماس الشاب .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وألهم آله وذويه جميل الصبر والعزاء وانا لله وانا اليه راجعون .

## من مآثر الفقيد

كان يذاكر العلماء الذين توافدوا الى زيارته وهو على فراش المرض في أدق المسائل العلمية .

عرض عليه مدرسوه في جامعة الازهر عندما رأوا نبوغه وتفوقه أن يستمر في الدراسة لنيل الدكتوراه فآثر رحمه الله العودة الى وطنه ليكون في خدمة دينه وأمته وتحرير وطنه من المستعمرين .

عندما طلب اليه أن ينقطع قليلا عن أعماله العلمية والفكرية للراحة قال : ( دعوني ألقى وجه ربي وانا أطلب العلم ) .

واستمر في الخطابة والتدريس في جامع السلطان مدة ٣٨ سنة .

ومن وصاياه التزام أحكام الشريعة الاسلامية في تشييع جنازته والابتعاد عن جميع البدع وخاصة رفع الصوت والعويل والصراخ ووضع الزهور في أوضاع خاصة غير شرعية .

وقد أوصى بقراءة القرآن وخاصة سورة الرعد وسورة يس وهو يعاني سكرات الموت ولما وصل القاريء الى قوله تعالى : ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ) ارتعش الارتعاشة الاخيرة وفاضت روحه الى بارئها .

## شكر واعتذار

**إنا إذ نشكر الأخوة والأساتذة الذين أسهموا في هذا العدد ونرجو لهم مزيد المثوبة عند الله ، نرى لزاماً أن نعتذر لمن كتبوا وضاق العدد عن إثبات كلماتهم ، أو حال دون ذلك تأخر وصولها ، آملين أن يتسنى لنا نشرها في فرصة قريبة ، ولهم خالص شكرنا وجزى الله الجميع خير جزائه .**